سلسلة كتب الجيب القبطية

— ١ —

أرنا الآب وكفانا

(طبيعة الاله)

تأليف

مدارس الأحد القبطية الأرثوذكسية

بالجـــيزه

الطبعة الثانية منقحة

١٦٦٨ ش — ١٩٥٢ م

مطبعة أبوفاضل

تمهيـــد

« قال الجاهل فى قلبه ليس إله » . . . ولكن أبناء هـذا الجيل وهم أحكم من أبناء النور قد شاركوا الجهلة فى إنكار الله . وقد لا ينطوى هذا الإنكار على الالحاد إلا أنه أشر من الالحاد. لانه انكار قلبـــى لصفات الله ، تشويه لطبيعته ورفض لعمله وفاعليته بين البشر .

فمن البدهى أن يصبح تصحيح أفكارنا من نحو ألهنا هو أول محاولة لحل كافـة المشاكل التى تـكتنف حياتنا ، إذ يسهل علينا فهم حقيقة إيماننا ويتضح أمامنا الغاية التى من أجلها نحيا ويُـرسم لنا الطريق نحو الوصول الى تلك الغاية .

وإن شعر العالم قديماً وحديثاً بأهمية الايمان بالله إلا أن هذا الشعور لا بد يزداد فيصبح احتياجاً لنرى هذا الإله ، لأن فى رؤياه رفع لماأثقل كاهلنا من مصاعب ، وتمسك برجاء تهون إزاءه المتاعب وإستنارة بها ندرك أنبل النزعات وأنقى الرغائب .

والـكاتب إذ يقدم هذا البحث فى قالب اختبارى يتضمن تأملات عابرة عن رؤيا الله الأب تلك الرؤيا التى بهـــا نجد حلا لمشكلات الألم فى الحياة وكل ما يعترض فهم طبيعة الله من شكوك .

ولم يزد المشاكل تعقيداً ببراهين فلسفية أو لاهوتية بل إهتم بتقديم الحقائق العملية لكى نحيا حياة سعيدة . فليس ما كتب في هذا الكتاب الأول يعتبر بحثاً دقيقاً للبرهنة على الوهية المسيح له المجد أو حلا كاملا لمشكلة الألم والموت ولكن القارىء الأمين لا بد أن يشتاق إلى تجربة الحياة بالإيمان والعمل للبنيان بدلا من النقد الهدّام ومحاولة الأدراك بالعيان .

يتدرج البحث فى هذا الكتاب من إحتياجنا لفهم حقيقة إلهنا إلى أهمية رؤيا صورته واضحة أمامنا ثم يشرح إعلان السيد المسيح له المجد لله الآب لأن من يرى المسيح فقد رأى الله الآب . ثم يتحدث عما يعوق رؤيا الله الآب ثم يؤكد ما ننتظره بعد الأيمان .

والرب الإله الذى نوجه أبصارنا اليه فى أمانة واشتياق كفيل بأن يجعلنا نهتف أخيراً عن اختبار « هوذا النور الحقيقى الآن يضىء » .

مدارس الأحد
بالجيزه

المقدمة

الاله المجهول

«أيها الرجال الأثينيون أراكم من كل وجه كأنكم متدينون كثيراً لأنني بينما كنت أجتاز وأنظر إلى معبوداتكم وجدت أيضاً مذبحاً مكتوباً عليه لإله مجهول . فالذي تتقونه وأنتم تجهلونه أنا أنادي لكم به » (اع ١٧ : ٢٢ ـ ٢٣)

وجود الله حقيقة أزلية فلماذا ننكرها

ولكن ... أي اله نعبد ؟

... نحتاج الى اعلان صلته بنا

.. نريد أن نعرف شبهه

... نريد أن نراه وكفانا

... نراه أباً يحبنا

... نراه قدوساً يرفعنا

... نراه يعيش معنا .

... فنراه في المسيح

« فبمن تشبهون الله وأى شيء تعادلون به ... ؟ »

أش ٤٠ : ١٨

إذا طفت بممالك الأرض صغيرها وكبيرها ، واستعرضت طبقات الناس حقيرها وعظيمها ثم بحثت عن الحقيقة الكامنة فى مشاعر الجميع ... وبعد ذلك رجعت مع التاريخ إلى الوراء وراجعت سير الشعوب جمعاء ثم بحثت عن أقدم اعتقاد لازال يتأصل مهما حاولت الحضارة أن تحجبه ... وتأملت فى هدوء مصدر نزعات الإنسان وبحثت فى إخلاص عن غاية طموح بنى آدم ... فلا يسعك إلا أن تقرر مع شيشرون قائلا « لم تبلغ الوحشية والفظاعة بأمة من الأمم درجة تجعلها تجهل وجود آلهة وإن كانت تضل فى فهم طبيعتها » .

نعم ... كون لا بد من موجد له وإلا إنعدم . ومادة لا بد من منشى لها وإلا اصبحت تشويشاً . وقوى تتحرك ومادة لا بد من محرك لها وإلا سكنت . وحياة بدأت فى عصور معروفة يستحيل أن تكون وليدة صدفة او نتيجة بيئة . والإنسان يسمو على الحيوان بما لا يستطيع التطور أن يخلقه .

والانسان يسمو على بقية الخلائق . بفكر يمتد من الماديات إلى غيرها ويستخلص من المبهم ما يتضح للعيان وبتمييز به يكون

لنفسه رأياً ويولد مـــن الآراء أسباباً وبنطق يسمو على مجرد التخاطب باللسان إلى التفاهم بقوة العـــلم والمخترعات وبقوة على الارتقاء فـلم يعش بالفطرة والغريزة كالعجماوات . وبشعور أذبى يعرف به الخير والشر . وبميل دينى يتأصل في كيانه لأن كل ما أنعم عليه من امتياز هو من يد الإله الأزلى الأبدي وكل هذه المميزات تنطق بقوة الخالق .

+++

ذكر أحد الـكتَّـاب قصة عن صوفى هندى أنه لما كان طفلا أرسِل إلى المدرسة ليتعلم حروف الهجاء فـكتب له المعلم حرف الألف ثم الباء . لـكنه توقف عند الألف ولم يحسن تعلمها ، فرغ الأطفال من حفظ الحروف جميعها ولـكن هذا الطفل لم يجسر أن يتعدَى حرف الألف . ترك المـدرسة لما بدت عليه من غباوة ، وهرب مـن بيت أبيـه لشعوره بنقصه ، وأقام فى غابة فتمثل فى كل جذع لشجرة أِلفا وفى كل خيط لورقة ألفا.. وفى كل جدول مستقيم ألفا .. رأى العالم كله جملة (ألفات)... ثم تساءل عن أصل تـكوين الألف فالفاه نقطة تجاور نقطة وإذ بالعالم كله نقط وإن تغيرت مظاهرها وعلاها من الأعراض ما يخفي أصلها . تفرَّس فى النقطة فوجدها كلا شيء حتى يتلامس القلم والورق فينشئها . وإذ بالعـالم كلـه كلا شيء حتى يشف فى النهاية عن أصله ومنشئه وخالقه ... فوجد الإله !! أتم الطفل فهم

درس الألف واسرع فرحاً عائداً إلى المعلم يطالبه ببقية العلم بعد أن استعرض له ما تعلم . فدهش المعلم وقال «أولى بك أن تكون أنت معلمى وقد تعلمت من حرف الألف ما لم أتعلمه أنا من كل الدروس » فغنى الطفل « أى معلمى ! قد يكون الفرق بين الحق والباطل شعرة .. وقد يخفى الحق عن الأنظار نسيج مهلهل ... قالت لى روحي : إنى راغبة فى المعرفة فعلمنيها ! . قلت ألف . قالت : ذاك يكفينى . فالانسان إذا تفتحت نفسه وصدق نظره كفاه حرف واحد » .

نعم ! فنحن نبحث عن حقيقة واحدة ولكن يختفى الحق وراء نسيج مهلهل ، فما هو هذا النسيج ؟ وتغمض النفس فلا ترى ، فما الذى يعميها ؟ ويقصر النظر عن أن يجلو ما يحيط به ، فما الذى يعوق تلك الرؤيا ؟

لو خرجنا فى أمسية مقمرة وأخذنا نتمشي فى طريق خلوى وقد تزينت السماء بالجواهر اللامعة الضياء فلا عجب أن تستولى على قلوبنا نشوة الفرح بتأثير هذا الجمال ، ولا عجب أيضاً أن تنفرج الشفتان عن ابتسامة الرضى قائلة « ما أبهى النجوم هذا المساء ! » لكن ماذا يحدث عادة فى مثل هذه المواقف؟ أنطيل النظر إلى السماء ... ؟ وهل تطول نشوة الفرح ... ؟ أم تطغى هتامات الحياة وأغانيها الزائفة على هذا الجمال فلا نعود نذكر

السماء بجمالها ولا النجوم وضيائها ... ؟ لقد وقف داود النبي فى مثل هذا الموقف واهتز قلبه بمثل تلك النشوة. فطال أمد الشعور، وزاد الفرح، لأن النفس صافيـــة . وأنشغل الفكر لا بتافه الاهتمامات المادية بل ليقرأ فى كتاب الطبيعة المفتوح أمامه ويدرك من بين سطوره إلهاً خالقاً يُبدِعه . فهتف قائلا «أرى سمواتك عمل أصبعك . القمر والنجوم التى كونتها ... فمن هو الأنسان حتى تذكره أو ابن آدم حتى تفتقده ! » .

عجزنا عن أن نطيل النظر لأن القلب لا يهتم إلا بكل ما هو وقتى . وفقدنا الشعور بالإله لأننا لا نود أن نتعب الفكر قليلا فنتأمل فى رب الوجود ونتزع الى الخلود ، إن داود يرغب فى إدراك الإله فيرى فى صفحـة السماء محراباً، وفى أديم الأرض معبداً ، وفى نفسه الحقيرة بين الخلائق عابدة لا بد أن تتعبد. ونحن لا نرغب ان نطيل النظر ، ولا نهتم لنرى الله ، ولا نفكر فى كيفية رؤياه. لأننا نرتضى حياتنا المادية بما يعقبها من زوال، فنتكاسل ، أو نخشى أن نجابه حقيقـــة أنفسنا ، لئلا تفزعنا خطايانا وآثامنا . أو نحرص على أن نهتم بمطالب الحياة الحاضرة، فنضطر إلى خداع أنفسنا فلا نرى الله .

وقد نراه إلهاً يتفق ورغباتنا الخاصة ، ونصوره أمام عيوننا بصورة بعيدة عن حقيقته ، أو قـد نهتم بالأغراض عند البحث

عنه فنهمل الاهتمام بجوهره، فلا نستطيع حينئذ رؤيته ولا نقدر أن نعاين شيئاً من مجـده .

اننا نحتاج إلى الشجاعـة ، وصدق الارادة ، والاخلاص ، حتى نشعر بحقيقة الله ، ونستفيد عملياً بهذا الشعور . فلا بد لنا من أن نفى عقولنا حقها فى معرفة الله وغايته من حياتنا فلسنا بعد اطفال لنقبل وصايا الله بدون أن نعرفه . ونفى ارادتنا حاجتها إلى فعل الخير الذى لا نجد مثله جلياً إلا فى الإله الخيّر. ونفى قلوبنا حاجتها ، إلى السعادة التى تلتمسها وتطمح اليها ، ولكنها لا تجدها إلا فى رجاء الخلود ... اذن لا بد لنا من إله ، كما نحتاج لأن نعبد هذا الإله .

† † †

ولكن أى اله نعبد ؟

لو تصورنا كل طائفة فى الأرض، تعتقد بأن الاله انما وُجد لأجلها واختص الخلاص بها ، فكيف يسلك كل فريق بالحسنى مع الفريق الآخر ، وكيف نتوقع سلاماً يعم الجميع ... ؟ فهل نعبد إلهاً يخلق الملايين للهلاك بينما لا يختص برعايته سوى الألوف ممن تبعوه ... ؟ أم نعبد إلهاً محباً للجميع يدعو قائلا (من يقبل إلىّ لا أخرجه خارجاً ...!) ان إلهنا ينبغي أن يكون هو المحبة التى تشمل كل البشر .

ولو تصورنا رجلا يائساً من فرط ما يعانيه من شقاء يسرع الخطا نحو أقرب البحار حيث يود أن يدفع عنه الحياة دفعاً ـ تلك الحياة التى ما تعلقت به إلا لتشقيه . فماذا يستفيد مثل ذلك الشقى من إله واحد قوى لكنه لا يحسب لشئون البشر حساباً؟ ان الهنا ينبغي ان يكون متداخلا فى حياة كل انسان .

هل نعبد إلهاً يعبّر عنه البعض بأنه النسمة النافذة التى تتخلل كل الموجودات ، والقوة اللا نهائية التى تحرك كل الخلائق ، ولكنه لا يتأثر بصلوات الناس وابتهالاتهم ولا يعنى بحاجاتهم.؟ أم نعبد إلهاً يجيب سائليه ويكفكف دمع الباكين ، ويرفع الشقاء والألم عمّن أثقلت كواهلهم باحمال الحياة ، وينادى قائلا « تعالوا إلى يا جميع المتعبين والثقيلى الأحمال وأنا أريحكم » . !

يقول اللاهوتيون ان الله يملأ العالم المنظور وغير المنظور ويدخل في تركيب كل جزء صغير ... فهو القوة السرية التى تهب التركيب والتحليل ، وهو الشخصية المنفردة فى كيانها الخالقة الواجبة الوجود ، اللا نهائية القوة . غير محدودة العلم ، غير المتغيرة ، هو الفكر المطلق والكيان المطلق ، والوجود المطلق لكننا اذا اكتفينا بهذه الاعتبارات المطلقة عن طبيعة الله ، ولم نتعداها لكان جديراً بنا أن نعتبر الدين خداعاً ، والكتب المقدسة خرافات ، والصلاة مضيعة للوقت ، لأننا

نصبح جزءاً من كيان كلى ليست له قيمة أكثر من سائر الحيوانات . وهكذا تتلاشى الواجبات والمسئوليات ، ولا نعود نعمل إلا في حياة ملؤها عدم المبالاة .

فلئن عبد الصيني جده الأكبر لأنه يرى فيه أصل نشأته، أو تمثل الوثني له إلهاً في أى كائن قوي لأنه يخشى القوة ، فالكل يجمع على وجود إله قوى خالق ، ولكن تختلف نظرتهم في مدى تدخله في حياة البشر فهل هو الذي يثير الحروب ، ويسمح بانتشار الأوبئة ... ؟ وهل هو الذي يعطي البعض ثراء يفقدهم الحساسية ، والبعض الآخر فقراً مدقعاً يزيدهم شقاء ... ؟ أم هو إله كلى القداسة يخلق ويحفظ ويدبر الكل ؟

أزاء هذا التساؤل نحتاج لان نعتقد عقيدة صحيحة عن الله لان في صلاح المعتقد ضماناً لصلاح الحياة ، والا فكيف نجنى من الشوك عنباً ، أو من الحسك تينا؟ وكيف نضمن من الفكرة الخاطئة عن الله سوي عمل خاطيء؟ فاذا عبد الناس إلهاً للحروب يسرعون الى خلق المعاذير لاثارة الحروب . وإذا عبدوا قوة سرية أو طاقة خفية فسرعان ما تختفي كل المثل العليا للأخلاق، ولا تصبح هناك قوة للحق . وإذا اعتقدوا في إله لا يبالى بمبدأ الايثار ، فسرعان ما تسير النظم الاقتصادية على قاعدة النفع الخاص ، ومن ثم يكثر التصادم وتهب الثورات ... لذلك كانت

الافكار التى تقود العالم إلى الله ، هى بعينهــا التى تضع أهداف السياسة العامة وترسم الخطط لتحقيقها .

نحن فى حاجة لان نفهم حقيقة الله حتى نتأكد أن الخير لا بد أن ينتصر على الشر ، والقداسة تتغلب على الخطية، والمحبة تسمو على الانانية ، أننا نريد تأكيداً بأن أسمى عواطفنا ليست سراباً . وأنبل نزعاتنا ليست احلاما ... وليست هذه الارادة وتلك الحاجة وليدة رغبة فى خلق صورة عن الله توافق أمزجتنا لـكنها حاجة أساسية وشرط ضروري لـكى نحيا حياة صالحة . وأنَّى لنا بهذه الحياة الصالحـــة إذا نحن لم نحسن فهم حقيقة الوجود وغرض الحياة ؟ !

+ + +

أزاء هذه الحاجة نود أن نشارك اشعياء النبى عندما أرتفع بالنبوة إلى ما فوق عقله البشري وسما فى تأملاته فى إلهه • لقد عاين عظمته وعجيب حكمته ، وعاد فنظر إلى نفسه فشعر بافتقاره، واحتياجه وقصوره ، ثم كرر النظر إلى فوق ، فوجد كل مياه الارض مهما فاضت لاتكال إلا بحفنة الخالق ، وادرك أن تدبير الرب للخلائق يعلو على كل فهم ، ويرتفع فوق كل حد ، اراد ان يركع ويتعبد ، فاحتاج ليعرف شبه من يعبــد ، لانه لم يكتف بالادراك بل طالب بأن يري شبـــهاً يبصره بالعيان . فتساءل

ليدعونا لأن نتساءل نحن أيضاً « بمن نشبهك يا ألله وأي شبه نعادلك به ؟ .. » .

وفى مثل هذا الموقف الذى تساءل فيه نبي العهـد القديم ، خشع لفيف من الشبان ، بينما هم يستمعون إلى حديث زعيمهم الذي يزمع أن يتركهم . لقد كلمهم عن أمور عجيبة ، وأعلن لهم اعلانات ساميـة ، وأخبرهم بمـا يكنه قلبه من حب نحو أبيه ، وما يترتب على هذا الحب من نتائج تعود بالخير على من يتبعونه . فنطق احدهم في اشتياق ولهفة بل فى رغبة للعبادة « **ياسيد أرنا الآب وكفانا** . . ! » تعجب السيد يسوع المسيح له المجـد من هذا الطلب ، ورفع عن أعين تلاميذه ما تبقي من غشاوة وأجاب « من رآني فقد رأى الآب » .

... فى هذا القول جواب لتساؤل نبي العهد القديم وتوضيح لتلاميذ العهد الجديد ، ورد مشبع لنفوسنا المحتاجة، لأن تعرف الرب الاله حتى نؤمن به ونعترف مـــع بولس الرسول قائلين « عظيم هو سر التقوى الله ظهر في الجسد » فلنـذهب إلى يسوع المسيـح الذى يعلـن الله للنـاس ... ولنقرأ فى أنجيله لعلنا ندرك مدى هذا الإعلان ... ولنتأمل باخلاص وطول أناه فى شخص المسيح لنفهم اسمى تعبير عرفه الإنسان عن الله .

ان « إبن الإنسان» يشع بازهى الألوان الإلهية فيبدو

شروق قـــداسته ناصع البياض وذهب محبته بهى البريق ... وخلال تلك الألوان التى تتعاقد مضطرمه في عهد جديد ، نرى مجد الله ورسم جوهره ، فاذا أنـكر أحد هذا النور الباهر او ادّعى أن هناك ضوءاً يفوقه بريقاً فـا ذلك الا دليل على أنه لم يعرف بعد كيف يميز بـين النور والظـــلام . بل لا شك أن مثل هذا الإنسان لا يبصر جيداً ، لأنه فى الظلمـة يسلك . وقد احب الظلمة أكثر من النور ...

لقد كتب البشيرون ببساطة عذبة وأيمان وطيد ، بأن الرب الإله إنما يشبه يسوع .كما سجل المسيح عن الآب أنه هو الذي يسد احتياجات الإنسانية المعذبة . فلندع جانباً كل أبحاث لاهوتية أخرى ونتأمل فقط فى اعلان المسيح عن الله ... اننا نراه :

(أولا) الله الآب ذلك الذي لا نـكتفي به خالقاً للـكل بل أباً يدعونا فى شخص يسوع المسيح أن نصبح ابناء له مرفوعين الى طبيعتة ... فان كان لنـا أب أرضى نـدرك حبه ، فالهنا شاء أن نراه على هيئة نجار جليلي ليعـبّر لنا عن حبه الأبوى، وغير المحدود قد صار محدوداً لتدركه عقولنا المحدودة ... ويرفعنا من الفناء الى عشرة الخلود .

(ثانياً) الله القـدوس ولا نعنى بذلك أنه مرتفع عن الناس منفصل عنهم لأجل قداسته ، بل نعنى أن قداسته تدعو الإنسان

إلى أعمال صالحة طاهرة ، فهو قد أتضع ليسمو بنا ، فتحرق قداسته أدناسنا . وسار بيننا لكي يرفعنا وإلى ملء قامته يكملنا وبا كليل بره يتوجنا .

(ثالثاً) الله معنا والقصد من هذا التعبير أنه يحيا معنا ليشعر بشعورنا ويتألم لأجلنا بل هو يهتم بنا اهتماماً شخصياً ، ويساعدنا إلى التمام ، ويتوقع استعلان غايته فينا ، لكي يهبنا قوة لإتمام تلك الغايات ... انه ليس قابعاً في برجه العاجي ، أو منصرفاً إلى عرشه في السماء ، لكنه يحضر في وسطنا ، وبنعمته ومحبته يجيب صلواتنا ، وبروحه يقودنا ويرشدنا .

أنه يثبت فينا ويدعونا لان نثبت فيه . ويعلن أنه قد تبنانا ، ويدعونا لنقبل تلك العطية ، ويرينا ذاته قدوساً لنتقدس . ولن يتجسم أمامنا هذا الإعلان الإلهي ما لم نبدأ بالسير معه ولو ظهر الطريق مظلماً لاول وهلة ··· وعند بدء السير نشعر باحتياجنا لنرى الله الآب . ثم ندرك هبات الله . فنشعر بأن في رؤياه كفايتنا ، ثم في كل خطوة نحن نسمع الجواب . « من رآني فقد رأى الآب » .

الباب الأول

نحو رؤيا الإله

— أحمدك أيها الآب رب السماء والارض .
— لأنك أخفيت هذه عن الحكماء والفهماء وأعلنتها للأطفال.
— نعم أيها الآب لان هكذا صارت المسرة أمامك .
— كل شيء قد دفع إلى من أبي ليس أحد يعرف الابن إلا الآب ومن أراد الإبن أن يعلن له .

مت ١١ : ٢٥ ـ ٢٧

---

١ ـ لنرى المسيح .
٢ ـ وسلطانه المجيد .
٣ ـ وفاعلية صليبه .
٤ ـ وقوة قيامته .

الفصل الأول

لنرى المسيح

— أيها الاحباء الآن نحن أولاد الله .
— ولم يظهر بعد ماذا سنكون .
— ولكن نعلم أنه إذا أظهر نكون مثله .
— لاننا سنراه كما هو .

١ يو ٣ : ٢

ماذا يعوق الرؤيا ؟

هل لنا عيون لتبصر ؟

هل لارادتنا أن تخضع ؟

هل لقلوبنا أن تتضع ؟

فنرى ضياء لاهوتـه لنحيا .˙. ونقتدى بناسوته ليسر بنا

« من يضع نفسه يرتفع . . . » لو ١٨ : ١٤

ذهب قوم من اليونانيين إلى أورشليم فى العيد للاشتراك في الإحتفال به . وللأعياد نظمها وعاداتها التى تسترعى انتباه الغريب لكن من العجب أن نرى أولئك القوم وقد أنصرفوا عن العيد ومباهجه وتقدموا إلى فيلبس قائلين « نريد أن نرى يسوع ... »

لعل اولئك القوم شعروا بأن ما حولهم من نظم يفتقر إلى حياة روحية تنعكس على حياتهم لتشرق فيها بضياء جديد،لذلك آثروا الإنصراف عن مثل هذه المظاهر والاعراض وجاهدوا فى طلب الجوهر فكانت رغبتهم في أن يروا يسوع.

هذا الذى حدث منذ عشرين قرناً في أورشليم ، جدير بأن يتجدد الآن لا في أورشليم وحدها بل فى جميع أقطار المسكونة فما أشبه الليلة بالبارحة ! فنحن نحتاج أن لا ننصرف بكليتنا إلى أعراض التقاليد ، بل يجب أن نحسب للحياة الروحية حسابها .

وليس معنى هذا أن نترك أعيادنا ، ونهمل طقوسنا،وننسي مراسيم عبادتنا ، ونفرط فى معتقداتنا،بل يجمل بنا أن لا نحوّلها إلى حجاب ، يعوق رؤيانا للمسيح على حقيقته .

فالكنيسة ينبغي أن تعمل جادة لتزيد رسالة المسيح إعلاناً ، لا لتزيدها إبهاماً وتنادى بأنه في المسيح ينبغي أن نرى الله ، وفي المسيحية ينبغي أن نجد الحياة السعيدة . أما الكنيسة التى لا تقدم سوى معتقدات بمفردها ، خالية من الحياة ، وعبادة لا تتعدى جدران المعابد ، ولا تتدخل فى كل شئون الإنسان إنما تدعونا في نفس الوقت لننصرف عنها حتى نطلب أن نرى يسوع ونحيا فى حضرته ... !

فليغمض كل إنسان عينيه إذا اتجهتا إلى غير المسيح ، وليفتحها نحو كل ما يظهر فيه المسيح ! وليطرح عن نفسه كل غشاوة تحجبه عن البصر الروحي . فلا يجب أن ننظر إلى أنفسنا كمسيحيين ، ونقول ان المسيح يبدو هكذا ! لأننا بذلك نشوّة صورته ولا يجب أن ننظر إلى غيرنا من أتباعه لأن الجميع لم يصلوا إلى الكمال .

جلس المخلص له المجد فى وسط عائلة أحبته وأحبها ، فاهتمت مرثا بأمور متعددة ، لتوفر كل أسباب راحته ، بينما اكتفت «مريم» بأن تتأمل فى صمت ، وتستمع فى هدوء إلى كلام النعمة الخارج من شفتيه طال انتظار مريم تحت قدميه وزادت متاعب مرثا فاحتجت . فلو وقفنا موقف الناقد لوافقنا في الحال على احتجاج مرثا ، إذ أن أختها تركتها تخدم بمفردها ،

دون أن تعاونها ولـكن يسوع يوجه أنظارنا إلى أتجاه آخر فلا منفعة من أن نخدمه كثيراً بينما نتحول بأبصارنا بعيداً عنه .

ولا فائدة من اهتمامنا بامور متعـددة ، بينما لا يعنينا أن نوجه احساسنا إلى حيث يوجد ، ولا منفعة من أن نربح كثيراً فتجارتنا هذه خاسرة إذا خلت من ربح ذلك الواحد . اننا إذا فقدنا تلك العيون التي يستهويها أن تنظر اليه ، فـلا نعجب إذا كنا لا نراه كما هو ، لأننا قد أرتضينا باختيارنا أن نبقى عمياناً، ورسمنا لأنفسنا طريقاً يضمن لنا دوام هذا « العمى الروحى » .

أن رؤيـــة الله فى شخص الحبيب يسوع تحتاج بجانب الاحساس إلى عمل إيجابى ... فقـد يكون لدى إنسان ما بصر قوى أو عقل متفتح فيستطيع إدراك ما لم يستطعه غيره من أسلافه . أو قد يتمتع بأذن حساسة تستطيع أن تستعذب كل نغم يتحدث عن المسيح ... لـكن كل هذه الحواس لن توصله إلى معرفة الله بمفردها : فكل ما يراه أو يسمعه إنما يكـون أمام عقله صورة نافعة لا تظهر إلا إذا ارتبطت بالتطبيق ،أى إذا عمل وفق ما توحى به الصورة ... وهكذا قـــد يخدمنا العلم عند البحث عن الله لـكنه بمفرده لا يؤدى إلى ادراكه ادراكاً تاماً أو بعبـارة أخرى وجب على مـن يريد أن يعاين الله فى شخص المسيح أن يرى ويسمع كل شىء عنه ثم يطيع ، وفي الطاعة

والخضوع لوحي الإنجيل معرفة حقيقة الاله .

إننا إذ ننظر إلى المسيح لن نرى فيه مصلحاً إجتماعياً فقط نستطيع أن ندرك مبادئه بمجرد أن نسمعها ولكن نرى فيه الهاً على هيئة البشر يعمل في الجسد ليثبت لنا سر السعادة في العمل ويعيش على الارض ليطالب بملكوت مملوء من البر والفرح والسلام ، ويظهر ذاته حتى نعلم أنه في التشبه باتضاعه بدء لفهم رسالته ، وفي الخضوع لتلك الرسالة نستطيع أن ندرك إلى أى مدى تعلن لنا صورة الإله .

لقد عاش رب المجد حياة الإتضاع عندما أتى إلى عالمنا ليجسم لنا كلمة الإله . ويرسم لنا جوهره ... كطفل خضع لعائليه . وكشاب انحنى بهامته أمام يوحنا المعمدان لكي يكمل كل بر . وكمعلم ، وراع ، وطبيب، ومخلص تواضع تاركا لنا مثالا طيباً لنتبع خطواته . وفي النهاية أطاع حتى الموت ، موت الصليب ... جاء ليعلن لنا كيف ينبغى أن تكون الحياة في الجسد ، فاعلن حياة الإتضاع والتخلى عن كل ما هو للذات ولن نستطيع أن نفهم سر الجاذبية التي في شخصه ما لم نتضع على مثاله. مختبرين التخلى عن كل الصغائر ، حتى نتمكن من الكبائر « لان كل من يضع نفسه يجدها » .

... دعا اليه فريقاً من الفقراء الجهلاء ليصيروا له تلاميذاً ...

لان كنا نحن لا نرى فيهم غير حثالة القوم ، فهو قد أدرك القوى المحجوبة في ثنايا تلك الحثالة ، لان عينيه لا تريا إلا الخير فتخرجه من الخفاء إلى العلانية ليشع ضوءه كمصباح فوق منارة.

... نحن نرى فى (زكا) يهودياً طماعاً منافقاً . وهو يرى فيه رجلا أريحياً ذا شعور حساس وميل عظيم للحق والعدل ، وغيرها من الصفات الكريمة التى كانت في حاجة إلى من يهتدي اليها فيوقظها إلى العمل ...

... ونحن نرى فى (المرأة الخاطئة) صورة دميمة للغواية والفساد وهو يرى فيها عليلة تود الشفاء ، ومجاهدة لم تخش لومة الناس فى سبيل بلوغ الطهارة الحقة ...

فلا عجب ان فقدنا ادراك سر جاذبيته لان أعيننا لم تتوافق بعد مع عينيه ... « وإن كانت العين بسيطة فالجسد كله يكون نيراً ... وإن كان النور الذي فينا ظلاماً فالظلام كم يكون ... ؟»

... جاذبية في الاتضاع ، وجاذبية فى الحب ، وجاذبية فى الصفح والغفران ، بها يغير إسم سمعان (المتهور) إلى بطرس (الصخرة) فعندما يخطيء يثبته وينفي من فكره أية نية للعتاب ، وبها ينادي الشامتين الذين قادوا إليه الزانية قائلا « من منكم بلا خطية فليرمها أولا بحجر ... ! » فيدين من لا يشعر

بحقيقة حاله بينما يقول للمرأة « ولا أنا أدينك » بل يهبها سلاماً ينزع كل اضطراب سببته المحاكمة ويعطيها ثقة بأنها لن تعود تخطيء ... فلا عجب إذا كنا لا نرى فيه صورة لإله قوى ديان لأننا نود أن نؤمن بإله حسب ميولنا لا يفضل كثيراً عما تعكسه عليه حياتنا من صفات نعتد بها .

فالآب السماوى الذي يعلن عنه المسيح حين جاءنا على الأرض ليس بالخالق الشرس الذي فقد سلطته على خليقته فعمد فى شدة غضبه إلى القضاء عليها ، ولا هو بالقاضى الأحمق الذي يتلفظ بأحكامه بالظلم والعدوان ، ولا هو بالملك المغرور الذى يحب أن يتملقه رعاياه ويتذللوا أمامه ليشفق عليهم ويرحمهم ، ولا هو بالمحاسب الذي يقيد الرذائل ليوازنها مع الفضائل فى صرامة وقسوة . كلا ... ! بل هو الآب الرفيق ، والصديق الحميم ، والمحب لكافة من يأتون اليه فيرون مثاله على مثال إبنه الحبيب .

فان تأملنا فى جاذبية يسوع المسيح الشخصية واتبعنا وحيها سرعان ما تتجه أبصارنا إلى نور لاهوته ، الذى وإن كان يبدو خافتاً فى أول الأمر ، إلا أنه كفيل بأن يسطع على الحياة ، وينير العين ، وبذلك نصرخ قائلين « هوذا النور الحقيقى الآن يضيء ... »

أضاء هذا النور يوماً لأخص الأتباع وأقرب التلاميذ إليه. وهناك على جبل التجلي أشرق وجهه كالشمس ، وتحولت ثيابه إلى لمعان يخطف الأبصار ، واشتهى أولئك الخاصة أن يظل هذا النور معهم ، ولكنه لم يدم ، بل زاد على ذلك انه أوصاهم بألا يقولوا لأحد ... أعلنت السماء لبطرس انه ابن الله الحي ، وأراد ذاك أن ينشر هذا الاعلان ، فنهاه المعلم ، لأنه لم تتهيأ القلوب بعد لتتقبل مثل هذا الاعلان ... تقدم إليه الشيطان مجرباً ، واستعرض أمام ناظريه ما في العالم من طلب للقوات ، وما فى الزعامة من طلب للسلطان والجبروت ، وما لأرباب الهيكل وكهنته من ملكوت ، وفى كل مرة يدعوه ليعلن نفسه إبناً للاله فى إحدى هذه الصور ، ولكنه خاطبه ، وهو إبن الاله الحقيقي بلغة إبن الانسان ، حتى يتم تصوير الاله على أحسن مثال ينفع البشرية ويخلصها ... فكم يجدر بالمتأمل أن يصرخ مع النبي قائلا ، « لو عرفوا لما صلبوا رب المجد » .

فان كنا للآن لم ندرك كمال لاهوته ، فلا نيأس لأنه نها فى الماضي أن يستعلن ذاته إلا لخاصته التى تغيرت إلى مثاله . وإن كانت صخرة الايمان به هى بنوته لله الحى ، فما علينا إلا أن نؤمن ونصبر فى رجاء ، حتى يكمل الايمان فيصبح كفيل بأن يدعنا نرى فيه النعمة والحق يتلاقيا ، والعدل والرحمة يتلاثما .

نؤمن بالاتضاع فنختبر دعوته لنا.
ونختبر في بساطة حبه لنا.
ونخضع بارادتنا لسحر جاذبيته.
وأخيراً نواجه لاهوته في صراحة قلبية.
فنحس باحتياجنا لنرى أكثر.

وكلما نرى مجده بوجه مكشوف ... « نتجدد إلى تلك الصورة عينها من مجد إلي مجد ».

فلنطيل النظر !!!

الفصل الثانى

سلطان الجيل

«ومع انه كان قد صنع أمامهم آيات هذا عددها لم يؤمنوا به .
ليتم قول اشعياء النبي الذى قاله : يا رب من صدق خبرنا ولمن أستعلنت ذراع الرب . لهذا لم يقدروا أن يؤمنوا الأن اشعياء قال أيضاً : قد أعمى عيونهم وأغلظ قلوبهم .
لئلا يبصروا بعيونهم ويشعروا بقلوبهم ويرجعوا فأشفيهم»
يو ١٢ : ٣٧ ــ ٤٠

بشارة تتجدد

تعبر فى بساطة عن أعمق الأسرار

ترفع صوت الحق والصلاح

تعلن عن سلطان عجيب

تعزى فى يقين ورجاء

تقتلع الشر من جذوره

فهل نجفل أن تجابهنا حقيقة البشارة أم نخشى أن تكون خيالية حقيقة كانت أم خيالا ...

... نحن نرى فاعليتها عياناً

تمر الأيام بنا فاذا بإيمان الطفولة يفتر ويتزعزع بدلا من أن ينمو ويتأصل لأننا نتوق بالايمان بكل ما هو جديد. وعودتنا النفس ألا تصبر وتطيع ما آمنت بـــه حتى تختبر إلى أى حد تنجح فى إيضاح هذا الايمان، وعودنا الفكر أن يضطرب ويقلق حتى إنه لا يرى فى الحقائق التاريخية القـــديمة وحيا به يلهم أفكارنا. وعودنا القلب ألا يرى سوى الرداء الخارجى الجديد حتى وإن احتوى جدثا باليا بيـــنما يغض الطرف عن الرداء العتيق وإن أحتوى حياة وشبابا وفتوة ... بهذه الروح نحن ننظر إلى الانجيل فلا نجده أمام عيوننا سوى كتابا في مستوى غيره من الـكتب القابلة للنقد والتمحيص بل نحن نراه كتابا قديما لا يساير مطالب الحياة التى تتجدد باستمرار ...

لـكننا إذا نظرنا إلى بشارة المسيح نظرة جديدة تبعثها الرغبة الاكيدة فى الوصول إلى حقيقة الله والشوق إلى معاينة وجهه فلاشك فى حصولنا من هذه البشارة على اعلانات عجيبة فهى رسالة سامية ظلت طوال الاجيال المتعاقبة جـديدة على كل كتاب وسامية على كل رسالة.

قد نقرأ فى الانجيـل بعين الناقـد ونجد ما نستطيع نقـده لـكننا لا نصل بعد نقده إلى رؤيـــة ما يعنينا لان عين الناقد لن تستطيع مواجهة نوره الساطع أما إذا أردنا أن نرى ونعاين

فى أنجيل المسيح رسم الالة وبهـــاء منظره فلا بد لنا من عين بسيطة حتى تـكون كافة حواسنا نيرة . والمستنير يدرك حقيقة النور وإلهنا نور لن يدركه إلا من يسير فى النور .

لنقرأ الآن بعين بسيطة وقلب مختـــبر ··· ونرهف الاذن لنسمع سطور الأنجيل تنطق بصوت المسيح له المجـــد فهو يختلف عن كل صوت . إنه يوجز فى التعبير لـكنه فى إيجازه يعلن أبسط الحقائق مع أعمق الأسرار . وهو يكشف لنفوسنا قيمتها ويجعلها تعرف مدى الهوة التى تهوى اليهافى حياة الخطية لـكنه يقدم لنا ينبوع ماء حي عندما نعطش إلى بره . ويوجهنا للقيام من سقطتنا معلمـاً إيانا بأنه يسير معنا ويرافـق حياتنا فيشاركنا آلامنا حتى يتسنى له أن يجذبنا اليه فنجرى ···

قد سمعنا أصواتاً أخرى وجُـذبنا اليها··· سمعنا موسى يتكلم فيحولنا إلى عبادة إله واحد كلى القدرة يحرسنا من كل عدوان لـكنه يطالبنا بطقوس متعـددة ويفرض علينـا ذبائح ومراسيم متنوعة ··· وإذ أطعنا صوت موسي تحولنا من عبيد أذلاء فى أرض مصر إلى غُـزاة أحرار ··· ولـكننا لم نسر بهـذا لأن إلهنا الذي رأيناه يهبنا النصر على أعدائنا يطالبنا بالتضحيات الجسيمة ويحاسبنا على كل صغيرة وكبيرة··· مر الزمان وأحتجنا لنسمع اكثر .فسمعنا صوت **عاموس** وغيره من الأنبياء ليعلن

لنا أعلاناً جديداً عن العدل الألهي اللا نهائى الذي لا يفرق فى أحكامه بين ضعيف وقوي ، فقير وغنى … فلئن إرتحنا قليلا لهذا العدل إلا أننا فى ضعفنا لا نجد مايعين وعند ضلالنا لا نجد غفران . وأرتفع بيننا صوت هوشع معلناً تسامح الاله وصفحه حتى انه يعفو فلا يبيد الانسان الاثيم … وبذاك تقدمنا سراعاً في فهم صلة الاله بنا لكن ما زال ينقصنا الكثير . اذ نحتاج إلى فكر جديد به نعيش حياة ايجابية ، حياة عمل وارتقاء ، حياة خير ونمو ، حياة كل غايتها السمو …

† † †

والآن نسمع صوت الحبيب السامى تعلن عنه محبته كابن للاله ، أنه يستطيع أن يحول عواطفنا البشرية عن مجراها الراكد القديم ويدعونا نحن الضعفاء الضالين لنقوم منتصبين وننظر بشجاعة إلى الله وجهاً لوجه ونطرح عنا مخاوفنا وأوهامنا ونحرر ذواتنا من قيود طبائعنا البشرية المحدودة متخذين رب الخليقة أباً لنا وإذا كان الله أبانا فقد تساوي جميعنا أمام عينيه فان أدرك جميع رؤساء العالم على ممر العصور خطورة هذا الصوت المعلن وقوة سلطان هذا الاعلان المجيد على اصلاح كل شقاء يحل بالناس فاضطهدوه وأضطهدوا الذين تبعوه من جيل إلى جيل .

ولو أرهفنا السمع لسمعنا صوت الحق فى الأنجيل يرتفع . والصلاح فيه يسمو على كل فعل خيِّر . ورجاء الحياة يسمو على كل أمل آخر . أننا نسمع عن حب لكننا نعجب إذ نراه يفوق حبنا وعندما نرى المسيح نود أن يكون لنا هذا الحب فنعلم أن محبته تحتمل كل شيء وتصبر على كل شيء .

انا نطوب الشجاعة ونود أن يكون لنا روح الاقدام لكنه لا يكتفى بأنصاف الفضائل فيعطينا (وهو النجار الجليلى) مثال الشجاعة التى لا تدانى فيقف بيننا نحن الذين نعرف أبيه وأمه ونتهامس محتقرين أصل موطنه فيقول فى هدوء « أنا هو نور العالم ويزداد فينا العجب لكنه يزيد العجب عجباً فيعلن فى اتضاع لا يشوبه تكلف أو اصطناع أنه «خبز للحياة » ومن يقبل إليه فلا يجوع ، نتعجب أكثر لكنه يزيد هذا العجب أكثر فأكثر فينادي وهو الذي لا مال له ولا مكان له ليسند فيه رأسه قائلا فى ثقة ويقين « تعالوا إلىَّ يا جميع المتعبين والثقيلى الأحمال وأنا أريحكم » .

أننا نأتى اليه لأن لكلامه هـذا سلطان ولندائه قوة بالرغم عما فيه من غرابة وكلما أزدادت إعلاناته غرابة أزداد معها سلطانه فيخبر ـ وهو الذي يقضي له الآخرون احتياجاته المادية ـ وينطق عن ثقة ويقين ـ وهو الذي لا مركز له تعتبره الهيئة

الاجتماعية فيقول أن « السماء والارض تزولان ولكن كلامى لا يزول ... فان كنتم تتبعون كلامى تعرفون الحق والحق يحرركم » .

نسمع ولا بد لنا أن نتبع لان لقوله سلطان ولا يعتري حديثه ضعف أوشك حتى يحتاج الى تأييد أو برهان خارجي . إنه ليس كالكتبة والفريسيين الذين لا ثقة لهم فيما يقولون ،وهو فى ذلك يعلن نفسه مركزاً للكون وسيداً للجميع دون غرور أو رياء لأنه قد أخلى ذاته وهو السيد آخذاً صورة العبد حتى يبارك طبيعة العبد ... يتكلم فى مجمع الناصرة فنسمع معجبين لأنه فى إتضاعه الذى لا يشوبه شائبة يبشرنا بأنه آت لرفع نير المساكين وتحرير المسبيين وعتق المأسورين وتجديد الحياة مهما علاها من ظلام فلاعجب أن يتقدم البعض ليلقوه من على قمة الجبل لأنه يعلم بسلطان لم يستطيعوا بعد إحتماله .

† † †

لقد عودتنا الحياة أن نرى لكل ذى سلطان مقراً إليه يهرع الجميع لقضاء حاجاتهم ودار ولاية منها تصدر كافة البيانات والاعلانات . لكن صاحب هذا السلطان العجيب لا يحتاج كلامه إلى مظهر يؤيده ، فلم يأت ليطالبنا باكرام وتبجيل لكنه يجول فيما بيننا . لأن سلطانه لم يكن مستمداً إلا من حبه

لنا . وإذ نسمع صوت حبه تطيعه نفوسنا ونقبل إليه كنفناة فنستبشر دون أن نخدع ، ونتبعه نحن العابـــدين للمال فلا نلبث أن نشارك « متى » فى التلمذ له ، ويدخل بيوتنا نحن الذين قد سمعنــا صراخ المسكين ولم نجب فيلمنا مــع « زكا » الرفق بالمساكين والرحمة بالبائسين ، ونحبه كالمجدلية فنكرس حياتنا للنقاء التى كانت قبلا للدنس . أحيــاناً نصرخ اليه فى رجاء عندما ينتهى من الحياة كل أمل وعندما نخشى أن نجابه مصيرنا المحتوم فنقول مع اللص اليميـــين أذكرنى يا رب إذا جئت فى ملكوتك فيسرع فى الجواب بمــا لم نكن فى الحسبان « اليوم تــكون معى فى الفردوس » إنه دائمــا يستجيب ولن يلتمس وجهه طالب ويخيب ...

تحدث كمن له سلطان فأطعناه وأعلن لنا نواحى عظمة هذا السلطان فأحببناه لكنه فى بشارته لن يكتفى حتى يبعد عنا كل ما يشقينا نحن الذين قد أثقلت كواهلنا بنير الرومان وأشباههم وتعنت الكهنة وأمثالهم . أتيناه نستجدى عزاء وسلاماً فقرر لنا سلامه وغفر لنا خطايانا الكثيرة لأننا نحبه كثيراً . وتلمسنا عنده الحماية والارشاد فاعتبر نفسه الراعى الوحيد الذى يبذل نفسه عمن لاذوا به .

كان حديثه يسيل رقة وعذوبة حيناً ولكنه كان أحيانــاً

أخرى يتحدث بكلام حاد ليبتر منا شرورنا وأنانيتنا . فهو إذ يؤنب بطرس تأنيباً قارساً نظنه يقسو لكنه يحب ولحبه مطالب لا بد من أن يعلنها بقوة حتى نستفيد من ذلك الحب ... لا بد أن نتبعه سائرين فى طريق كرب ، ونجوز من باب ضيق لا يسمح للمتكبر بالمرور ونحمل صليبه كل يوم أثناء السير ناكرين ذواتنا ... لا بد أن نقطع أصل الشر فينا ولو كان فى ذلك بتر أحد أعضائنا ... لا بد أن نحاسب أنفسنا لا على ما يبدو من أعمال بل على ما يكمن من نيات وأفكار . لا بد أن نحب العدو حتى نجعله لنا قريباً ...لا بد لنا أن نكنز كنوزاً فى السماء لتكون قلوبنا مرتفعة عن كل ما هو دنيء أرضى... لا بد لنا أن نعتبر أموالنا فى السماء هى ما يستثمر ويوهب لخير غيرنا لأننا كوكلاء قد أئتمنا على هباته فيطالبنا بأن نعطي أكثر مما نأخذ ... لا بد لنا أن نخدم الجميع خدمة أعظم إذا كنا نرغب فى مجد أعظم وأن نتخلى عما هو لذواتنا إذا كنا نطمع فى السمو الحقيقي وأن نسخر أنفسنا ميلا ثانياً بعد الميل الأول الذي يطلب منا إذا أردنا حسن الجزاء على أتعابنا .

† † †

الآن إذ يعطينا فى أقواله صورة واضحة لإله يسير بيننا ويشاركنا فى كل شيء ما عدا الخطية ويرسم لنا غايته من خلقتنا ويختم حقنا فى الحياة بموته وينقلنا إلى عهد جديد بقيامته ...

نرى انها صورة لا مثيل لها فى أى زمان. فاذا تأملناها على ماهى عليه بهرتنا وتبدد خوفنا من أن تكون خيالا . وإن تأملنا حقيقة نفوسنا نخجل أن نجابه صورته بل نتمنى أن لا تكون صورته حقيقية ؟ اننا نخشاه وهو يملأ سفينة حياتنا بالخيرات ونراه ربا يهب الخير لمن لا يستحقه ... فنحول النظر ونخشى ان يتدخل فى حياتنا لأننا خطاة ضعفاء وهو البار القوى فنصرخ قائلين « أخرج من سفينتنا يا رب لأننا رجال خطاة » ومن هنا تتحول امانينا فى البعد عنه وخشيتنا فى مواجهته الى اعتقاد ان صورته التى رسمها المسيح لنا هى مجرد خيال ... لكن سرعان ما يتبدد كل خوف وشك ويتلاشى كل خجل عندما نتأمل فاعلية محبته .

إننا نغبط اولئك السعداء المطوبين الذين رأوه بأعينهم ولمسوه بأيديهم وسمعوه بآذانهم . لكنه ما زال يتجلى فى جاذبيته العجيبة التى أهابت بالقديس بوليكاربوس ان يصرخ في وجه الامبراطور « خدمته ٤٦ عاماً ولم يرني فيها إلا كل محبة» ويتجلى فى غفرانه لـلآثام حتى بكي القديس اوغسطين قائلا « لقد اشتعلت روحي فى سلامه الكامل الذي يفوق كل عقل» وجعل القديس غريغوريوس يعبر عنه « بأن فيه السلام الخاص الذي يبعث على الإبتهاج » .

إن كثيرين اشتهوا أن يروا ما نرى ولم يرواه لكننا ننظر إلى مجده بوجه مكشوف ونضع أصبعنا فى جنبه المجروح ثم نركع تحت قدميه صارخين مع الرسول توما « ربى وإلهي ... » ولكن مهلا . . . إننا إذ ننظر نبدأ بأن نخشى قوة محبته لأنها تطالبنا بالكثير . . . إنها تطالبنا بأن نقرر غايتنا من الوجود على الأرض ، وتسألنا مبررات كبريائنا ودوافع خطايانا ، إنها تعاملنا ليس حسب تقديرنا لأنفسنا أو أقوال الناس عنا ولكن كمن خلقوا على صورة الله ومثاله . . .

† † †

إننا نكتشف بعد أننا لسنا أهلا لمسؤليات الحياة حسب تقديره لها فننقلب فى ضعفنا إلى معاندين لحبه . فينتزع راحة أفكارنا . فنبدأ فى صراع عنيف متسائلين أى إنسان هذا ؟ كيف يجرؤ على المطالبة بأن نعطيه ما قد تعلقت به نفوسنا وشغفت به قلوبنا وبأى حق ينهانا عن خطايانا ؟ . . . هنا تغلى مراجل الغضب وتسترق الكراهية خطاها إلى القلوب فنجري فى « شوارع أورشليم » قاصدين « بيلاطس الوالى » ونصرخ بأعلى صوت « أصلبه أصلبه » ! . . . . ونسلمه للموت لأنه لا راحة لنا بينما نراه حياً ! . . .

ولكن وسط كل ميولنا العنيدة الثائرة ونوازعنا التى

ستميت فى لمقاومة فى داخلنا . . . يبلغنا صوته الهادىء الذى يفيض حناناً « يا أبتاه ! اغفر لهم لأنهم لايدرون ماذا يفعلون »

عجباً ! ان قلبــه ما زال بالحب نابضاً متعلقاً . . . ولــكنا نخشى أن تقابل عيناه عيوننا فنمضي فى سبيل غــير سبيله . . . ولــكنه يعود فيقــابلنا فى منتصف الطريق (من أورشليم إلى دمشق ويقول « أنا يسوع الناصرى الذى أنتم تضطهدونه » . . إنه مازال يحب . . . فلئن أغمضنا عيوننا الخــارجية فلا بد أن تنفتح له عيون القلب واسعة ولئن لم نره بالبصر فلا بد أن نراه ونعرفه بالبصيرة . . . هو النور الحقيقى والآن يضيء .

أى وحي هــذا الذي ينير امامنا السبيل . ويتحدث إلينا بسلطان إلهي قوى فعــال . ويقود حياتنا إلى أسمى مثال ! ! . .

—انه فى الأنجيل —

الفصـــل الثالث

فاعلية صليب

« لأن محبة المسيح تحصرنا . إذ نحن نحسب هذا أنه إن كان واحد قد مات لأجل الجميع فالجميع إذاً ماتوا وهو مات لأجل الجميع كي يعيش الأحياء فيما بعد لا لأنفسهم بل للذي مات لأجلهم وقام »

(٢ كو ٥ : ١٤ ، ١٥)

متى تظنون انى أنا ؟

ومتى تعرفون ألى ؟

ومتى ترون نفوسكم على حقيقتها ؟

ومتى تتغير نظرتكم نحو اخوانكم ؟

ومتى تتغير أفكاركم عن معنى الحياة ؟

عنــــدما يرسم أمام عيونكم . . .

. . . يسوع المسيح مصــــلوباً

« إنكم بجهالة عملتم كما رؤساءكم أيضاً »
أع ٣ : ١٧

من هو القادم بين تراتيل الكبار ، ونشيد الأطفال الداخل إلى مدينة النور كالظافر ......

من هو الراكب على الجحش وديعا ، ومن هم حوله يتيهون به فخراً .

من هو الناظر إلى مدينتنا بعين الحزن يرثيها ، بينما تبتهج به المدينة فتكاد تصرخ من الفرح حجارتها ......

هو النجار الجليلي ذلك المضل الناصري الذي بذر بذور الفتنة بين صفوف العامة السذّج موجها إياهم إلى نبع السعادة الحقيقية والنعمة الفياضة ، بل هو الذى تخطّى أوامر الكهنة في جرأة وكسر السبت ولم يرع حرمته محرراً فعل الخير من القيود والأغلال .

بل هو نديم الخطاة وصديق العشارين الذى يعطيهم تأميناً لحياة افضل ويهبهم قوة ليبنوا بها ما تصدع من كيانهم المتهدم .

بل هو ذلك الذى أنفضّ كل من حوله حتى من أعجبوا به لأنه لم يرتض أن يقدم لهم كل يوم خبزاً مثل الخبز الذى تبارك بين يديه في أول يوم التفوا حوله .

بل هو المدعي النبوة لله وان كان لم يجاهر كثيراً بهذا الادعاء لأن عقول البشر مهما رأت وسمعت عنه فلن تدرك شخصيته إلا إذا أحبت واختبرت معه .

فكم من حاقد حاسد يؤكد أن مثل هذا ينبغي أن يموت ليخلص الناس من تعليمه الذي قلب كافة الأوضاع والتقاليد …

وكم من معجب منساق بفعل الفضول نحو كل جديد وعجيب ، وكم من محب مختبر أعلن له مجد الآب الوحيد على جبل التجلي بلمعان كالثلج ونور كالشمس . . . الكل شاهده في ذلك اليوم كمن يشرف على عمل عظيم . !

والآن فلندع جانباً ذكر سلطانه ولنبدأ لنلتصق به ونحيا مع أولئك الذين خبروه تاركين للناقد مهما حاول أن يعتبر قصته كأسطورة ممتعة أن يدرك بنفسه أن مايدعوه أسطورة يحوى حقيقة خالدة . لن يستطيع أن ينقدها . . . انه تألم وصلب ومات … ودفن في قبر .

ولكي ندرك تلك الحقيقة فلنشاركه وجدانه عندما ودعنا في خطابه الحافل بالمحبة . ها هو يقول لنا « وصية جديدة أنا أعطيكم أن تحبوا بعضكم بعضا » نعم … إن هذا لجديد علينا فقد تعودنا أن نطلب ما لنفوسنا باحثين عمن هو الأعظم بيننا

وتعودنا أن تغلبنا الأنانية فنتسابق ناسين السبيل إلى محبة بعضنا البعض ... بينما هو فى تلك الليـــلة يكشف عن خفايا العظمة الحقيقية عندما يتقدم باتضاع كلي ليَخدِم لاليُخدَم وليغسل أرجلنا بدلا من أن نغسل نحن موطيء قدميه بدموعنا .....

ان الخواطر تمر سراعا ولـكننا لانفساق وراء عواطفنا بل وراء كلماته لنسمع مايقوله لنا « أنا أمضى لأعد لـكم مكانا » .. كيف يمن له أن يتركنا يتامى .... لـكن لابد أن يمضي لأننا للآن لم ندرك هذا السبيل الذى سيسيرفيه ولابدأن يمضي بمفرده لأنه لو استطاع أحد أن يسير معه فى هذا الطريق لما كان هناك داعياً لأن يأتي بذاته ليسير فيـه . إنه طريق عجيب مملوء بالزفرات والأنات والدموع ، انه طريق البذل والفـــداء ، انه طريق التضحية دون أن ينظر البـاذل إلى أى جزاء لأنه وحـده معطي الجزاء ... ولـكن أما من رجاء وهل لنـا من عزاء ... نعم فـكل العزاء فى أنه يعـد لنا مكانا فى ملـكه الأسنى وبجوار عرشه الذي لايداني . فلتنعم قلوبنا بكل رجاء جميـل لأنه ينوي أن يأخذنا فى نفس الطريق الذى سيسير فيـه وينوى أن يجعلنا مثله في كل شيء وينوى أن يسير بنا من موت الى حيـاة محيية مملوءة من كل خير وسـلام ... لـكننا نريد أن نتأكد ونريده أن يصارحنا فلنتقدم اليه فى جرأة لايشوبها حياء قائلين « ياسيد

لسنا نعلم أين تذهب فكيف نقدر أن نعرف الطريق ؟ »

حينذاك ما أحلى أن نثق بما يرجى و نوقن بأمور يعلنها لنا بنفسه قائلا : « أنا هو الطريق والحق والحياة »

إن الوقت يمر سراعا . وها هو المساء يقبل ولكن الحديث يطول وها هو يحدثنا أيضا فلنسمع صوته العذب يقول « أنا أطلب من الآب فيعطيكم معزيا آخر ليمكث معكم إلى الأبد . روح الحق الذى لايستطيع العالم أن يقبله لأنه لايراه ولا يعرفه » . . . .

وكيف نعيش ونتعزى بروح لا يعرفه العالم ... إن معنى ذلك أن العالم سوف لايعرفنا نحن أيضاً . . . فان هذا الأمر لنا هو هبة الأعالى وعطية السماء . . . فمن سيميل منا ليعرف العالم إنما هو يجحد نعمة العلاء ... ومن يعرفه العالم ويرحب به انما هو يقبل عطية الأرض الوقتية فلا محل له فى السماء ... أو نعيش مكروبين مذلين أم نسعى كيما نبقى مدللين مغرورين ؟! أننا نود أن نعيش مطرودين لكن مطوبين وحزانى ولكن مغبوطين بل لنشتهي جميعاً الآن أن نفنى ليحيا مثاله فينا وأن نئن مثقلين على أن يكون لنا أيضاً عربون الروح . أى عربون الغلبة الحقيقة على كل شر في كياننا .

أنه الآن يرفع عينيه نحو السماء . ويحدث الآب عن ساعة تأتى ومجد يستعلن ووديعة تحفظ ومحبة تثبت . . . . . . ساعة يقف فيها الحاكم محكوما عليه وساعة يدين العالم بكل من فيه ذاك الذي قال للعالم لا يدين روحي في الانسان . . . ساعة تثبت فيها كلمة إذ يطيع حتى الموت لأجل من قادهم عصيانهم للحق الى الموت . . . . . . ومجد يستعلن لمن لم يطلب لنفسه مجداً من هـذا العالم المملوء من الرياء بل هو مجد حقيقي لا يتأتى إلا عن طريق الهوان والآلام بل هو مجد من الآب الذى إذ شاء فولدنا لحياة جديدة نسمو فيها عن متاعب مجد العالم ونرتقى إلى سلام الأمجاد العتيدة أن تعلن فينا . . ووديعة تحفظ بكل عناية هى تدبير يسمو فوق كل تدبير به يحاط من أولاهم بحبه وحنانه وبه نتقدس في حق القدير وبه نأخذ مما له ونعيش في حماه محروسين ومحبة تثبت فى القلوب فلا تسمح لحب غريب أن يتدخل فيحول الجمال قبحاً أو النقاء نجاسة أو السلام إضطرابا أو التضحية أنانيـة وعدوانا . .أمن أجلنا يصلى ؟ وهل يخصنا بـكل هذه العناية والمحبـة ؟ إننا نتردد في الفهم بل أخشي أن أقول إننا لا نرغب أن نفهم ولا نود أن ندرك . . أنه يصلى لأجلنا .

ولـكن مع كل هذا التردد والفتور نسترق الخطى وراءه عنـدما يقوم ليسير لأنه ليس لنا سوى أن نتبعه أينما يمضي يحدثنا طوال

الطريق فليتنا نفهم ويكلمنا عن ملكوته في رنة حزن وأسي فلا نستطيع أن نوفق بين الملك والألم وبين السلطان والحزن بل نحن نتبعه مسوقين بعاطفتنا التي تعلقت به ولولاها لما تلمسنا سوى طريق اليأس إذ قد زال كل رجاء • بل من الوحشية أن نتركه حزينا بمفرده وهو مازال يحبنا ويتحدث عن ألم مزمع أن يقاسيه من أجلنا •

إلى أين نمضي ؟ إننا ننحدر من أعالي جبل صهيون . . إننا نخرج خارج المدينة • • دعني ياهذا استرق الخطي وأقترب إليه أكثر بل دعني أتأمل عينيه • . إنه يجتاز الآن تلك الأبواب الدهرية التي دخلها ظافراً فرحا ولكنه اجتياز يخالف اجتيازه الأول إنه الآن حزين لكنه راضي النفس بينما كان في اجتيازه الأول فرحا ولكنه كان غيوراً على الحق غير راض عما حوله من مغائر اللصوص • إنه الآن مترجل يسير بخطي حازمة كمن يعرف غايته ويدرك تماما أهبته ، بينما كان في اجتيازه الأول راكبا جحشاً يسير به في هوادة ليعلن للجميع تواضعه ووداعته . . . لكن مع كل هذا التغيير ما زالت جاذبيته كما هي وحبه يشع بنفس القوة وسلامة يعم جميع من حوله .

إننا نقترب من ضيعة جثسيماني التي كانت أحب الأمكنة لديه • • اننا نتبعه كالثملين لكن ليس من الخمر ونسير مترنحين لأنه

قد نعست من الحزن نفوسنا وتبلدت عقولنا من كثرة ما أعلن لنا من اعلانات سمعناها في عدة ساعات وفاقت ماأخبرنا بـه في عدة أعوام · لـكنه إذ يدخل البستان يسرع الخطى فنتثاقل عن أن نتبعه مسرعين لأنه عودنا أن ينفرد ولأننا أيضا لم نعد نحتمل جلسنا حالمين تحت حمى بعض أشجار الزيتون فالت رؤوسنـــا لننام ولـكن مازال يعترض خياله السبيل الى النوم · نفتح العين قليلا فنري عن بعد دموعا تنهمر وإذ تثقلت اجفانـــا نسمع بآذاننا صوت جهاد خافت لـكنه متزن قوي إنه صوته من بعيد يأتينا فنصيخ له السمع ويتحرك له الوجدان فتنهمر الدموع متوافقة مع قطرات دمعه الدامية وعرقه المتصبب بغزارة رغم نسيم الليل البارد . . . ياله من جهاد ! إنه كجهاد من يحمل حملا ثقيلا يبغي الخلاص منه . . . ياله من حمل ! إنه كحمل كل العالم بأسره . . ياله من جهاد . . لـكننا لا نفهم كثيراً سبب رضاه بأن يحمل هذا الحمل ولا نعي جيداً سر اخفائه لما له من سلطان سبق فاظهره ليخلص به الاخرين ، ألا يكون في هذا الاخفـاء سبيلا لتستعلن محبته كاملة في الآخرين لأنه فيما قد تألم مجربا يقدر أن يعين المجربين . . ألا يكون وهو في هذا المكان يبكى غـير راض أن يموت ...ولـكنه لن يرضى لن ينوب عنهم أن يموتوا ولن يقبل لهم سوى الخلاص ولن يطلب الا أن تعبر عنهم تلك الـكأس المرة المذاق والتي تدوم مرارتها الى الأبد وكم يرتفـع

الجهاد الي توافق لأن ارادته وإرادة الآب واحدة والا لماذا يأتي ويوقظنا قائلا « هذا يكفي ...! » نعم انه يكفي أن ينام الانسان مستريحا لأن الاله يفديه ... انه يكفي أن يدعنا اسبيلنا لأنه لم يعد بعدله احتياج لاتباع يسيرون وراءه ، فالملائكة نفسها قد تولت خدمته وتسبيحاتهم تهتف داوية قائلة « لك القوة لك المجد لك البركة لك العز الى الأبد ... »هذا لانه قد انتهي مثاله البشري الذي أعلنه لنا وبدأ اعلان محبة السماء فبدأ عمل الفداء .

(كشاة تساق الى الذبح وكنعجة صامتة امام جازيها فلم يفتح فاه) هاهم الذين يطلبون نفسه قدحضروا وها هو يسلم نفسه لهم وهاهو يسلم من أحد احبائه ، ولكنه يحب ولابد أن يحب ، فبعد أن نفذ السهم تراه يعاتب يهوذا مسلمه لأنه يحب وها هو يحدثنا نحن انه حتى وان كانت قبلاتنا له قبلات غاشة الا انه يحب اننا في خطر عظيم ، فما كانت نتيجة السير وراءه سوي ان نتعرض للشرور التى يقاسيها . وما كان توافقنا مع حبه قليلا الا ليطالبنا بتوافق يدوم ولكننا لانستطيع ذلك فنقبله قبلة الوداعة ثم نسامه لأيدي الأئمة ... اننا في حياتنا لكذلك ... ليس فينا من هو افضل من يهوذا كثيراً ... بل ليس منا من يغايره كم مرة في اليوم نسلمه للصلب ... بينما يهوذا سلمه مرة واحدة .

كم مرة في اليوم نهين المحبة ونقتلها ونبطل فاعليتها ... بينما

يهوذا خالف ناموسها مرة واحدة ؟ ؟ لنتأمل فى شخصياتنا : أية محبة نحن نقتل عندما نسد الأذنين عن صراخ المسكين أو عندما نطفىء فتيلة مازالت تدخن أو نقصف قصبة تتردد ؟ أي إله نحن نقتل ونصلب ! ، عندما لا تسرع أرجلنا إلى فعل خير نحن عليه أقدر ورحمة قوم هم بالرحمة اجدر ....اننا نقتل المحبـة أي نصلب الاله الذى هو محبه .

الآن ندرك أية مهمة قام بها يهوذا اذ وقف ممثلا للبشرية فى ريأسها نحو من احبها. إن عداء اليهود كان يزيد يوما بعـد يوم ولـكن العداء الظاهر اثره اقل بكثير من اثر القلب الحاقـد مع الوجه المحب لقد استطاع ذلك الوجه أن يدرك متى اتت الساعة ومتى سمح المسيح أن يسلم نفسه ومتى أراد أن يتمم فـــداءه العجيب . كما استطاع ذلك التابع الغاش أن يعرف مكان اختلاء رب المجد حتى لا يكون للجموع سبيلا لتعطيل هذا السر العجيب لأن يسوع كان محبوبا ممن اتم فيهم خيره ... ونحن الذين ننضوي تحت لواء كنيسته نعرف الخلوة الحقيقية التى فيها نجـد يسوع ولـكننا بنوايا قلوبنا لا نريد لها بقاء . نعم فلنـا صورة التقوى ولـكننا ننـكر ان لها قوة وأثراً .

دعنا نتبعه ولـكن من بعيد . . هاهو يبدأ السير فى مراحل الآلام أنه يتحمل كل البـلايا كيما يزيل عن البشرية الآثام .

وقـد تجمعت حوله كل جنود الشر والظلام حتى لا يترك شراً ليس له من بره برءاً ، ولا يظل ظلام لا يشع عليه من حبه ضياء . ها هوذا يسير بلا تقـــدير ولا احترام لـكيا يتمثل فى من لم يبجلوه أولئك الذين لا يحترمون الحق ويقدرون دولة القوة والغنى والجبروت الأرضي . هاهوذا يقيد ويساق لـكيا يتمثل فيمن قيدوه أولئك الذين قيدوا مثله العليا . ها هوذا يحـــاكم أمام حماة الدين وحماة القانون لـكيا يتمثل فيهم رياء المتدينين وظـلم الحاكمين . هاهوذا يحمل الصليب ويجلد ويكلل بالشوك ويتحمل كل إهانة وتعيير فتتمثل فى تلك المأساة مأساة واحـدة هي مأساة البشرية بكل أنواع شرورها وجورها من أدنى طبقاتها إلى أرقاها ومن أكثرها شراً الى أعظمها نذالة وزراً . . .

رفع على خشبة الصليب ليجـــذب اليه الجميع « وكما رفع موسى الحية فى البرية هـكذا ينبغي أن يرفع ابن الانسان لـكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تـكون له الحياة الأبدية » . .

صلب على خشبة العار ليغير تفـكيرنا فى نزع هـذا العـار فنبدأ نعرف مدى الخلاص الذى ينتظرنا اذ يفتدينا ليهبنا حياة غنية بخيرها كاملة فى سلامها . وحينذاك يحق لنـا أن نصرخ « أما كلمة الصليب فهي عند الهالـكين جهالة أما عنـدنا نحن المخلصين فهى قوة الله » .

والآن لنرفع عيوننا الى المصلوب ولنتأمل ماذا يوحي الينا من معرفة لالهنا . فالنور يضيء ظلمات أفكارنا حتى نراه غير متأثرين بشماتة الشامتين أو حزن التابعين .

نظر اليه مصلوبا فيعلن لنا إلها فريداً عن كل الآلهة ...

الها يتألم ليخلص . إله المحبة وطول الأناة . إلها مستعداً أن يدفع أغلى الثمن لكي يفتح أعين من جعلوه يتألم . فلو كان إله عدل فقط لما سمح بالصلب ولو كان إلها مخلوقا لما أتانا كانسان . ولو كان الها قادرافقط لأجبر الناس على اتباع ارادته سالباً اياهم ارادتهم ولكنه أب يستعمل صليب أبنه الحبيب ليرفع الحجاب الذى يحجب عنا طبيعته وليبعد عنا خطايانا التى تسبب ألا نراه . ويظهر لنا علاج المحبة للاثم . علاج ليس فيه تجاهل أو عقاب ولكن يقودنا فى حب لأن نتوب . فنبدأ لنرى ونحب الها بل أبا يغفر كل الذنوب .

نظر اليه مصلوبا فنرى حقيقة نفوسنا .

حكم عليه بيلاطس عن ضعف مضحياً به على مذبح سلامه الخاص فمنع عن نفسه متاعب العمل والمركز .

واتحد هيرودس مع عدوه بيلاطس فى الحكم عليه ليعلن أنه كثيراً ما تكون السياسة نقابا يختفى وراءه مجتمع فاسد مريض .

وسلمه يهوذا لأنه اعتقد أن الملكوت السماوي يمكن أن يتكون بأسلحة الشيطان وسلطانه . غير حاسب أن من يود أن يغلب الشر بالشر انما يزيد الشر .

وأدانه الكهنة ورؤساء الشعب والفريسيون لأنهم رفضوا من لم يرض بالعبادة المقيدة التي يعبدونها داخل المعابد دون خارجها . وما تعسف رجال الدين في العالم الا لتقديرهم المحدود للدين فلا يهتموا لتطبيق مبادئه الا في سويعات العبادة ... إنهم على خير ولكن هناك خيراً أفضل وهناك ليسوع دين أفضل يشمل كل نواحي الحياة .

وهتف عامة الشعب طالبين صلبه لأنهم افتكروا أن هذا الساحر يعطيهم بسحره دون ان يتطلب منهم ما يفعلون من خير وظنوا أنه يشبعهم بدون أن يجتهدوا ويحيوا حياة نافعة . واعتبروا أن في ملكوته يهبهم السلطان والنفوذ بدون خدمة حقيقية يصل بها المرء إلى السلطان الحقيقي .

هؤلاء هم صالبوه لكنهم ما كانوا يختلفون عنا في شيء ... اننا نصفهم بأنهم أئمة قتلة خالين من كل معاني العدل والضمير ، ألا تنطبق تلك الأوصاف علينا إذ قد صلبناه في الاف الأبرياء الذين نطردهم من مجتمعنا ونتعسف في محاسبتهم عسير الحساب دون أن ندرك أننا قوم غشيت عيونهم عن ضحاياهم البائسين !

لقد عميت البصائر فما عدنا نرى كيف نلحق بالعـالم الشقاء والبؤس ثم نلصق تهمة ذلك بسوانا ونبرأ من القتال وننكر أننا البسنا البعض اكاليلا من الشوك ... ولكن ! هل الجلاد القاسي ، والسيف المرهف والفقر المدقع سوى أسلحة فى أيدينا نجرح بها الغير ؟

لقد علق يسوع على الصليب لما كان عليه القوم حينذاك . وسيظل معلقا على خشبة العار بسبب ما نحن عليه الان ... فأما في القديم فقد أعمتهم الخطية ولذلك نادى يسوع الاب « يأأبتاه اغفر لهم لأنهم لايدرون مايفعلون » وهكذا نحن أيضا ماعدنا ندرى أننا نقتل كل يوم صورة الله التى تعلن للبشر معانى الحياة ومن هنا يخاطبنا بولس « لو عرفتم ماصلبتم رب المجد »

ولكن ... هناك فوق الصليب يرفرف علم المحبة الالهية علامة انبثاق النور من الظلام اذ قد صار فى عمل العمى والجهل وسيلة لأن تبصر أعيننا فنرى طبيعة الاله وطبيعة الانسان ... ونرى فى الصليب ماذا فعل الأنانية والعدوان بالاله · وبماذا تؤثر محبة الذات على الانسانية وما قتل المحبة الكاملة ورفعها على الصليب معلقة الا انحياز للحقد والكراهية وانقيادا وراء الأهواء النفسية التى تودى بالعالم الى كل شر مهما كنا نعتبر أنفسنا من أرقى الطبقات المهذبة .

ننظر اليه مصلوبا فتتغير نظرتنــا من نحو الاخرين . تلك هي النتيجة المباشرة لاكتشاف أنانيتنا ورؤية محبته وتضحيته . فسرعان ما نرى أننا نطلب أهواء نفوسنا على حساب الآخرين وندرك الشقاء الذي يصيب الناس من جراء سعينا فى الحيــاة لأجل أنفسنا فقط . ونلمس مرارة الحسد وقسوة المنافسة وألم الشهوة وفاعلية الحقد . الأمور التى تهدم الانسانية وتقودها إلى أسوأ ما عُرف من الويلات ... ننظر ! فنري أننا لأجل لذّاتنا صلب الآخرون ونحزن قلب الآب المحب .

ننظر إليه مصلوباً فتتغير أفـكارنا عن معني الحياة . فالأنانى يرى الوجود بأسره قد تـكون ليخدمه ويعتقد أن من حقـه أن يسود كافة المخلوقات ... لـكن صليب الإبن يحوله إلى فـكر جديد فيرى الخليقة كلها تئن وتتمخض متوقعة استعلان الخلاص ويرى بـكم أصبحت ليست لنفسها لأنها اشتريت بدم ثمين. ويكم صار الـكل مخضعاً للذى أخضع له الـكل فيصبـح هو الـكل فى الـكل .

فليتبارك إلهنا الذى من فرط محبته رفع نظرنا لنرى يسوع والصليب فادركنا سمو الطبيعة الإلهية ولمسنا أسقام نفوسنا وقيمة أخوّته بالنسبة لنا وأهمية رسالتنا فى هذه الحياة .

والآن لنتأمل يسوع يسلم الروح بين يدىّ الآب ولنقف

بالقرب من صليبه باكين ... لقد غربت الشمس قبل أن تؤوب شمسنا للمغيب واظلم يوم الجمعة العظيمة محدثا بغلبة الظلم والعدوان وانتصار الخطية إذ أردَت رب الحياة إلى الموت .. إن عجلة الزمن تضطرب وتسرع فى الدوران ويقبل الليل فى وقت الأصيل لأن القائل « أتيت ليكون لكم حياة » قد اختار الموت طواعية ومضي إلى ظلمة القبر بارادته ... ...

فهل من نهاية لانتصار الظلام ؟ وهل من رجاء جديد للتخلص من مأساة البشرية ؟ ... أم تدوم دولة الظلم بظلامها وتسود الخطية ويسود الألم والشقاء معها !

رأيناه محباً وفادياً ،

ورأيناه غافراً ومجدداً ،

رأيناه على الصليب معلقاً ومنيراً ،

ورأيناه في كل ما سبق عن الإله معلناً ،

فهل يتاح لنا أن نراه فى قيامته ...

مقوّيا وناصراً ؟

الفصل الرابع

قوة قيامته

« عالمين أنكم أفتديتم لا بأشياء تفنى بفضة أو ذهب من سيرتكم الباطلة التى تقلدتموها من الآباء . بل بدم كريم كما من حمل بلا عيب ولا دنس دم المسيح . معروفا سابقاً قبل تأسيس العالم ولكن قد أظهر فى الأزمنة الأخيرة من أجلكم . أنتم الذين تؤمنون بالله الذي أقامه من الأموات وأعطاه مجداً حتى أن إيمانكم ورجاءكم هما فى الله » ١ بط ١ : ١٨ ــ ٢١

كمحبين لا بد لنا أن يفوس حبيبنا

كشهود نراه مع الرسل قد قام

كمؤمنين نختبر قدرته على القيام

كمعاينين مجـــده نرى فيه كمال

الاكـــــم !

« لأعرفه وقوة قيامته » فى ٣ : ١٠

لنصعد إلى جبل الرب . ومن على ربوة نشرف على صخرة إنشقت لا بفعل الطبيعة العاتية ولكن بفعل الحزن والألم . نراها الآن محل تبجيل شعوب الأرض قاطبة فأقاموا حولها أثمن ما تمتلك البشر وشيدوا عليها أسمى رموز الحب والاخلاص وتبارى فى تجميلها أقوى الفنانين عاطفة وعطّرها بأنفس البخور أقدس من قدّسه الإله من بين البشر ... لكن كل هـذا الكساء الخارجى لن يحدّث بالعبرة مثلما حدثت تلك الخشبة التى أقيمت فوق صخرة الجلجلة منذ عشرين قرن خلت .

خشبة العار ... صارت رمز المجد والفخار . رأيناها تحمل المصلوب الحبيب ، ثم رأيناها خالية تتحدث بأن انتصار الظلمة لا يدوم ! . . والقبر الجديد يتشرف فيحوى الميت العجيب لكن لم يقبر يسوع بمفرده فيهذا المكان بل في قبره قتلت الكبرياء وفنيت الأنانية وصلبت الأهواء من نفوس من أطالوا النظر إليه فى أمانة وإيمان . . فمن على الصليب غلبت محبته كل حقدنا وفى القبر طعن فـداءه كل محبة للذات فينا .

ذبح الحمل فأحيا فينا الأمل . وماتت منا الخطيـة وأعطينا خلاصاً جديداً . وهكذا أحبنا الإله فبذل ابنه الوحيد لـكي يعطينا حياة أفضل ... لـكن هل يظل ميتاً ذلك الإبن الوحيد المملوء نعمة وحقاً ؟ ... كلا إنه لابد أن يحيا وإلا فأي إله نحن نعبد ؟ .. هذا القبر لابد وأن يفرغ وإلا فلا يجدر بنا أن نفتش عن إله آخر حيث أنه قد قُبر ولم يقم ... ولـكن كلا ! إنه حي إلى الأبد ...

† † †

ولئن كثرت البراهين التى تؤيد قيامته إلا أن حياته فيما بيننا هى أسمي برهان .

إنه حى لا يموت ... إنه قام كما قال لـكم . والقبر الفارغ يحدث بأنه قام ... والنسوة المبـكرات يبشرن بأنه قام . وصمت أعدائه عن هذه الحقيقة الخالدة ينطق بأنه قام . وتحول تلاميذه الجبناء إلى شهود أقوياء يعلن أنه قام . والفاعلية التى لازمت الـكنيسة في نموها والقداسة والقوة التى شعت وتشع من القديسين فى كل جيل تحدث بتلك الحقيقة الأزلية التى ينهار أمامها كل شك ولا يثبت فى وجهها أي نقد . . . أنه بالحقيقة حي وقد قام .

فلماذا لا نزال نطلب الحى من بين الأموات ؟ . أننا لن نجده هناك ... وسريعاً ما تتحول أبحاثنا إلى أتعاب بلا جدوى وتنهمر من أعيننا دموع تشبه دموع مريم حينما فتشت عن جسد بلا حراك ، ولم يظهر لهـا الحبيب إلا عندما انتزعت من يأس الحقائق المنطقية رجاءً قويا لتراه . كذلك لن نختبر من هو حي بيننا إلا إذا خرجنا عن حدود النقد والمنطق والبرهان إلى أرقى محيط وأسمى مجال وأوسع دائرة ... دائرة الإيمان ... الذي يرى فى الظلام والذى يعمل بما يري فى بساطة واطمئنان واستسلام !

فلنتقدم إذا فى إيمان لنسأل السيد أن يبرهن قوة حياته فينا .

أننا نؤمن منذ الحداثة بمسيح حي ممجد دفع إليه كل سلطان ما فى السماء وما على الأرض . يقدر أن يخلص إلى التمام ويفعل لأجلنا أكثر مما نطلب منه ونؤمن بقدرته على تحريرنا من الخطية وتجديد أرواحنا وتهيئتنا لغرضه السامى من حياتنا . ونؤمن بأنه يعطى فرحا وسلاما لقلوبنا ورجاء زاخر لنفوسنا حتى نلقاه فى المجد إذ نصبح مثله لأننا سنراه كما هو . . . لكن هل تنمو نبتة الإيمان فينا أم هى تتحول إلى مجرد معتقدات عامة عن يسوع ليست لها فاعلية فى حياتنا كما لو كانت مشكوكا في أمرها . ؟

لا بد لنا أن نراه حيا بيننا . ولا تحتاج حياته إلى برهان سوي أن نختبرها بأنفسنا . فلنسلم ذواتنا له فى كل صباح ، ولنترك أعمال يومنا بين يديه فى كل مساء ، متممين ذلك من كل قلوبنا بلا تردد أو ارتياب، ثم نرقبه وهو يعمل فينا . أننا لسنا نبحث مبدئياً عن مصلحتنا الشخصية لكننا نبغي فقط أن نجد الإله . لذلك لابد أن نجده فى أعماق النفس متدخلا في كياننا ... لنخبره عن الماضي إن كان ماضينا ما زال يؤلمنا ، ولنسأله بتواضع أن يأتينا رغم ما بنا من عيوب ، وأن يقبلنا بما عرف عنه من أبوة غافرة للذنوب . وسرعان ما نجد أنه يمنح القوة والسلام ، كما نجده يقودنا من ظلمة يوم الصلب إلى بهاء ومجد فجر القيامة ، ثم يعيش معنا فنتأكد أنه حى بيننا ومخلص لنفوسنا .

اننا نجتاز بين العقيدة والعمل مرحلة لابد منها هى مرحلة الشعور حين تتقد نفوسنا وتتأجج بنيران مانؤمن به . ولهذافمن الطبيعي أن سبب عدم مسيحية المسيحيين الحقةهو أن المسيحيةلم تعد تحرك عواطفهم، وكلام الله لايصادف أذنا صاغية وشعوراً حياً وقلباً حاراً . إن الكنيسة اليوم قد أصبحت عبئاً ثقيلا عليهم والرعاة أصبحوا مصدراً لآلامهم ! إن مشاعرهم تتحرك لاللعمل بل للهدم والكنيسة تقودهم لا لخلاصهم بل لينتقدوها . أما إذا فكروا فى هدوء متسائلين بماذا نفتكر فى المسيح فعلا ؟لوجدوا

أنهم متساقين مع العالم وليس مع الفادى لأنه يتعذر على المرء أن يقترب ممن له هذا السلطان وتلك الشخصية دون أن تتحرك مشاعره لأحد أمرين : إما لمحاربته كما فعل صالبوه . أو إلى التسليم لقيادته تسليما كاملا مدى الحياة . اما الذى لم يتحرك نحو أحد الطريقين فاما أنه لم ينظر إليــه ولم يفتكر فيه على الإطلاق ، أو يكون قد تطلع إلى نفسه فرأى مسيحاً آخر يختلف عن المسيح المقام .

+ + +

بماذا نفتكر فى المسيح ؟ . . . لو وجدنا أن الاعلان الذى أعلنه لنا عن الله الآب ليس حقيقياً فانه لن يبق لنا رجاء فى حياة حقة . ولن يعود هناك خلاص من الأنانية ولن تقوم فى العالم دعوة للانسانيـة . بل نحن ننضوى بلا توان تحت لواء ناموس عالمي أساسه الشر والعدوان والكراهية ، ونسير فى عالم لا يُفهم فيه معنى للمحبة والتضحية سوى أنها سريعاً ماتخبو نيرانها الحارة وتنطفىء أنوارها الكاشفة وتجابه الى الأبد ظلمة قبر بارد ... ...

نعم إننا إذا افتكرنا أن المسيح قد أخطأ التقدير فى إعلانه فنحن بذلك ننزع من العالم كل محبة ونتحول به إلى عبادة القوة وتقديسها على الرحمــة ... ومن ذا الذى لا يرى الأنانية قد تعددت صورها وكمنت فى كل معضلات الجنس البشرى تلك التي لن يوجد لها حلا إلا عند من يستطيع أن يستبدل الأنانية بالمحبة !

وما دام أصل كل داء فينا ليس له علاج فبالتالى ليس لنا خلاص ! فالحكومة لم تستطع بقوانينها أن تتغلب على محبة الذات . والجرّاح لم يستطع أن يستأصل بمبضعه جذورها من القلب . والعالم النفسانى لم يستطع بإيحائه أن يهدم التفكير الذاتى الذى يقود إلى الشر والخطية . إن إنكار الذات يسهل تعليمه ولكن ما فائدة العلم بدون العمل ؟ فمهما حاول الاقتصادى مثلا ان يضع جانباً همومه المادية فانه لن يستطيع ذلك حتي يبرأ من محبة المال . ومهما حاول السياسى حل المشاكل تجابهه فهو لا يستطيع تحقيق ذلك مالم ينتزع من الناس الإعتداد حتى يقبلوا آراء الآخرين . . ولن يوجد لهذه العلل دواء سوى عند يسوع المسيح الذى بموته أعطانا مثال الهزيمة الوقتية لقوى الخير ، كما أنه بقيامته أعلن انتصار دولة النور على الظلام .

أيها القارىء العزيز ، أنظر اليه لتخلص وفكر فيه بأمانة لتستنير . فان كان إعلانه عن الله خاطئاً فلن يهمك أن تسعى لنفسك أم لغيرك ، أن تكون أنانياً أم مضحياً ، ان تسرق وتزنى وتقتل او تعيش بالتقوى والفضيلة ، ولن يوجد إله آخر يستحق ان يعبد ولن يعود هناك مستوى اخلاقياً يستحق ان نفكر فيه ان كانت كل هذه التعاليم السامية التى اعطانا إياها غير ممكنة فى هذا العالم ثم نجد أنه لا فائدة من اى تعاليم أخرى إذ يصبح أشهى ماللنا فى الوجود هو أن نأكل ونشرب ونتلذذ لاننا غداً سنموت ومثل

هذه الأمنية الحيوانية ليست بحياة !

لكن ان كان المسيح على صواب ، فلماذا لاتسرع وتسلم ذاتك لقوته حتى يتمم فيك إرادة الله ؟ ... وان كان المسيح على صواب فانك تصبح مسئولا عن كل نفس تتصل بها . فمن واجبك أن تعطي حسابا عن تلك المسئولية ومن المفروض عليك أن تعلن حياته وقوته فى ذاتك حتى يقتدى بك غيرك .

أخيراً إذ تراه الآن قائماً ليعلن لك إلهاً خيراً بل ابا محباً ، تأمل فيما تحتاج منه واسمع صوت المرنم حينما يشعر بذلك الإحتياج فيقول « الرب راعيّ فلا يعوزنى شىء ... فى مراع خضر يربضنى وإلى مياه الراحة يوردني يرد نفسى يهدينى إلى سبل البر » فليتك تركع الآن تحت قدميه مقرراً أنه لك في الظلمة الضياء ، وفى شدة اليأس الرجاء ، وعند تسلط الحزن العزاء .

انه يسمعك ويناديك قائلا (أنا الرب شافيك)، فكلّمه بدون أن تسىء الظن به وصل اليه بدون أن تخطىء فى معرفة حقيقة الصلاة ... فلا تكن محادثته وسيلة لجلب خيراته بلا مقابل قبل ان تكون غاية سامية بها تدرك حياة من أحبك إلى المنتهى فاطلب بايمان واشتياق أن يستعلن ملكوته السماوى فى أرضك ويظهر حبه الأبدى لشخصك ويأتى بروحه ليسكن فى قلبك .

† † †

رأيناه يعيش بيننا ويتألم معنا ويموت مثلنا فتعلمنا أن من يضع نفسه يجدها .

سمعناه يعلم كمن له سلطان ويؤيد بشارته بأعجب الهبات ويقطع أصل الشر من داخل القلوب ويعلن أن النور الحقيقى الآن يضىء .

ونظرنا اليه مصلوبا فرأينا إلهاً يحبنا وفهمنا حقيقة أنفسنا واندفعنا نحو حب اخوتنا ولمسنا فى الحياة سمو رسالتها . إذ اصبحنا مفديين بدمه ولم نعد بعد لأنفسنا .

وشاهدنا وآمنا واختبرنا حقيقة قيامته وأهمية انتصاره فتأكد لنا انه معنا كل الأيام وإلى انقضاء الدهر .

ذلك هو اعلان الكلمة المتجسدة عن الإله « عظيم هو سر التقوى الله ظهر فى الجسد ... ... »

ولكن قد تظهر فى الصورة التى رُسمت الوانا قاتمة نشوهها . وقد ننظر الى قوات الشر المحيطة بنا ونضعها محل الاعتبار لأنها تنتصر وقتياً ... فنفقد بذلك معالم الصورة الخالدة .

فهل لك أيها القارىء العزيز ان تصبر حتى الباب الثاني فنتناول بالبحث ما يشوه صورة الإله التى أعلنت لنا ويشوش علينا قدسية الأفكار التى أحاطت بنا ؟

الباب الثانى

مايعوق رؤيا الإله

«وانقلبت علىَّ أهوال . طردت كالريح نعمتى فعبرت كالسحاب سعادتى . والآن إنهالت نفسي علىَّ وأخذتنى أيام المذلة ... إليك أصرخ فما تستجيب لى . أقوم فما تنتبه إلىّ . تحولت إلى جاف من نحوى بقدرة يدك تضطهدني »

(أى ٣٠ : ١٥ ـ ٢١)

يعوقنا عن رؤيا الإله تفكيرنا فى :

١) المسئول عن الشر الادبى

٢) حكمة وجود الشر الطبيعى

٣) أسباب الشقاء الاجتماعى

لأننا نضع تلك العوائق فى طريق الرؤيا ...

... بدلا من التفكير فيها خلال تلك الرؤيا .

الفصل الأول

الشر الأدبي

« إنما صالح الله لإسرائيل لأنقياء القلب . أما أنا فكادت تزل قدماى لولا قليل لزلقت خطواتي لأني غرت من المتكبرين إذ رأيت سلامة الأشرار . لأنه ليست فى موتهم شدائد وجسمهم سمين . ليسوا فى تعب الناس ومع البشر لا يصابون »

(مز ٨٣ : ١ ـ ٥)

هناك ... !

ناموس للقوة اللانهائية

وقوة للمحبـــة الالهية

وغاية لكفاح البشرية

الخطية

« . . . أجد الشر ماثلا أمامي » رو ٧ : ٢١

أعلن يسوع عن الله أنه أب يحب الخير لأبنائه . اذاً فلماذا يسمح بالشر ليلحق بهم والأذى ليشقيهم ؟... لقد وجدت الخطية فجرّت على العالم كل بلية ، ألم يكن من الممكن تحاشيها ؟ ووجد المرض فعاق الإنسانيه عن إتمام رسالتها ، ألم يكن من الممكن انتزاعه ؟ ووجد الموت فالبس الناس ثوب اليأس ، ألم يكن ممكننا خلق عالم تسرع خطاه نحو الخلود ؟ وملأ الشقاء والألم كل احساسات بني آدم فأنى له أن يرى إلهه خيّراً ؟

مَن المسئول عن وجود الخطية في العالم ومن ذا الذي تعمّد أن يُعكر صفو حياة الانسان بنتائجها وآلامها النفسية والجسديه؟

ونحن إذ نحاول الاجابة على هذا التساؤل يجدر بنا أولا أن نصحح الأوضاع المقلوبة ، فمن الخطأ أن نكوّن فكرة عن الله بما توحيه الينا آلامنا ، والأصوب أن نضع الآلام في ضوء أقدس الأفكار التي فهمناها عن الله ، حتى نفهم حقيقة ما نتألم به . ففكرتنا التي تتكون أثناء تألمنا غالباً لا يُعتمد عليها إذ هي تتبع مشاعرنا المتألمة المتقلبة ـ ولشد ما اختلف الشعور عن الحقيقة ، ولشد ما تغير الرأى عند اختبار الايمان أولا قبل الجرى وراء المشاعر الثائرة ـ فان كنا نوقن بأن أقدس إعلان

عن الله قد كمل فى شخص ربنا يسوع المسيح فلذلك وجب أن تتوافق إرادة الله مع ماصنعه يسوع ... جال يسوع يصنع خيراً ويشفى كل سقم فى الشعب ويطهر كل أبرص ويقول للمفلوج أن يبرأ من خطاياه فى سهولة ويسر حتى يفوز بشفاء الجسد . ولذلك وجب أن تكون ارادة الآب السماوى أيضاً هى قداستنا . وإن كانت هذه هى إرادته فلماذا يجبرنا على تلك القداسة ؟

« روى فى أساطير اليونان ان إحدى بنات الآله مست بعصاها السحرية مجموعة من الناس فصارت قطيعاً من الخنازير » ... فلماذا لا يكون لإلهنا عصا سحرية تعمل للخير فتحول الناس من أشباه الخنازير إلى أبناء للاله مصوغين على صورته ومثاله الأقدس ؟

ولكن هل لقدرته التى يوصف بها أن تعمل كل شىء على الاطلاق ؟ وإن كان الأمر كذلك فهل نستطيع أن نتصور ماذا يترتب على استخدام هذه القوة ؟

فمثلا لو دخلت إلى حجرتك لتخلد إلى الراحة قليلا فوجدت للعجب أن المنضدة التى أمامك انتصبت على رجلين ومدت يدين وبدأت تحدثك عن الاجتهاد فى العمل وعدم الخلود إلى الكسل فهل تصغى وتطيع ؟ ... أم يعتريك الدوار والاغماء ؟

إن الإنسان يحاول على هـذا المنوال أن يجعل من الله قوة لانهائية تسير الكون حسب هواها بدون ناموس ثابت . لكن مثل هـذه القوة تقود إلى تشويش يعم كل مرافق الحياة فلا يستطيع المرء أن يحيا ، متوقعاً التغيير فى أية لحظة في أى شىء .

إننا نسيء إلى الله عنـد ما نستخدم كلمة « القادر على كل شيء » بدون أن نفهم معناها . فلئن كنا قد خُلقنا على صورة الله لكننا نريد أن نتصور إلهنا على مثالنا الذي فسد ، فنود أن نراه محباً للسيطرة ومظهراً للقوة ، ونود أن نراه يُجبر الكل على طاعته بدلا من أن نراه أباً يبذل كل شيء فى سبيل اعلان محبته . والله القادر على كل شيء الذي خلق بقدرته الكون وما فيه لن يعمل بتلك القدرة ماهو مخالف للنواميس التى رتبها ولن يعارض بقوته عدله اللانهائى وحبه الأبدى لئلا ينكر بذلك نفسه . أما تحولنا إلى طاعة حبه فلن يكون إلا بارادتنا نحن حين نفتح له أبواب قلوبنا .

إننا حين نتتبع تصوراتنا الخاصة من نحو الشر الأدبي سريعاً ما تصبح طبيعة الله غير واضحة . الأمر الذى يقودنا إلى الإلحاد أو ينحرف بنا نحو معتقدات عصور الخوف الغابرة فنحمل الأحجبة والتمائم إلى غير ذلك من الخرافات التى تنم عن إعتقاد بان لله طبيعة غير مؤكدة تحتاج إلى ملاطفة حتى

لا يستخدم قوته اللانهائية عند شدة غضبه . وقد نرى الله أبا فى لحظة وعــدواً فى اللحظة التاليه . محباً يوما وكارها في اليوم الآخر .

ولـكن إعلان يسوع عنه لن يرينا الله كحاكم مستبد يُجبر شعبه على أن يتبعه ، بل نراه كأب تحدوه أبوته ومحبته فيما يعمل وهو بخلقه لنا أحراراً قـد حدّ نفسه فاصبحت قدرته على كل شيء محدودة بطبيعته وبالخلقة . فهو لن يحوّل الإنسان الشرير إلى صالح مادام يرغب فى أن يبقى شريراً ، وليس ذلك لأن هناك مايمنعه ولـكن لأنه يتعـذر عليه بطبيعته أن يخالف محبته التى وهبت هذا الانسان إرادة حرة ميّزته بها عن الحيوان .

إن قسـوة الآب الأرضي على أبنـائه لا تؤدى إلى تربيتهم تربية صالحة بل تفقـدهم شعورهم بالأبوة وتحفزهم على العناد كما تقطع الصلة الروحية بينه وبينهم ولا تشجعهم على الندم والتوبة . وماظهور الأبوة السماوية على حقيقتها إلا إنتفاء للقوة . وأبونا السماوى الـكلى الـكمال لا يستخدم القوة كيما يجدد حياة أولاده الخطاة لأن ذلك مخالف تماما لطبيعته لـكنه يعاملنا بقوة المحبة تلك التى تهدينا وتقودنا بل تجـذبنا لنرتفع إلى فوق . ولو كانت طبيعته تسمح له بأن يخلصنا بالقوة . لمـا كان هناك مايدعو لأن يأتي الينا المسيح فيعلن مثاله ويتألم على الصليب ويموت عنا . ولا ما

يدعو لأن يستشهد الشهداء فى سبيل الحق . ولا ما يدعو لأن يسمع تعاليما لا قيمة لها ولا أثر . أو نحيا حياة لا غاية لها ولا هدف .

إن إلهنا يعمل بيننا بالحب ، وما أعجب قوتها لمن يتوافق مع مطالبها . إنه لن يمنع الألم من العالم بالقوة لأنه لن يستخدم القوة حيث يوجد أولاده ، ولن يسلبهم حريتهم التى رفعهم بها إلى مرتبة أفراد أسرته تلك الحرية التى ينكرها الانسان لكي يجد تعليلا ، به يبرر نفسه وعذراً به يحتمي عند ما يطلب منه ألا يقاوم حب ربه .

اننا نخلط بين الحقائق حتى نصل من هذا الخلط إلى مايوافق هوانا :ـ فنعتبر ان إلهنا يعلم مصيرنا فلا فائدة من أن نجتهد لنغير هذا المصير .ولكن إن كان الله يعلم مصيرنا فليس معنى هذا انه اجبرنا على هذا المصير ، وان كان قد أعلن صلته بنا فهو يعلن من طبيعته ما يهمنا فى جهادنا وما له صلة بوجودنا . اما علمه اللانهائي الغير محدود وإدراكه الأزلي الأبدى فهو طبيعة ترتفع فوق كل حدود للزمن . ذلك الزمن الذى أنشأه الله ليساير تقدم الإنسان المحدود . فلا ينبغي أن يتعالى المحدود ليدرك ماليس من خصائصه مادام لم يزل تحت نير الحدود .

أيضا يحاول الإنسان أن يتخلص من المسئولية محولا

تساؤله إلى اتجاه آخر معتبراً أن إلهنا المحب يميز بين ابن وآخر فيعطى فرصة للخلاص لواحد ولايهيئها للآخر. لكن الباحث الأمين يرى أن الله قد أعطي فرصة لكل فرد ليدرك فيها مدي حب الآب الحنون. وإن اختلفت حسب مقاييس البشر لكنها في إختلافها تعلن كمال الأبوة لكل ابن على حدة.

† † †

أيها الحبيب لاتفكر كثيراً فى التخلص من المسئولية التى القتها عليك البشرية بشرورها. ولا تحاول أن تقاوم محبة أبوك السماوى لئلا تتعاظم هذه المسئولية … إن إلهنا قد أعلن لآدم محبته فى أن يهبه فرصة للتوبة ولكنه رفض أن يرى في سؤال الله إعلاناً لحبه وألقى تبعة الخطية على الله فقال «المرأة التى خلقتها لى أعطتنى لآكل …»

ولكن حين تكثر الخطية، تكثر النعمة وحين يزيد ثقل الألم تتعاظم لذة النصرة. فان سلمنا وقتياً أن إلهنا يُشقينا بالخطية التى وجدت فى العالم فما الشقاء إلا وسيلة لنعرف بها السعادة، وما يقظة الحياة إلا فى الجهاد والمقاومة وإذا عدم الجهاد وفقدت دواعى المقاومة وعاش الإنسان لساعته كالأعمى لا ينظر إلى الأمام، فقدت الحياة معناها الأسمى وعاش الناس فى هدي أشبه بالضلال وفي فضيلة أشر من الأثم والعصيان.

وهل تستوقد النار إلا بالحطب ؟ وهل يعلم العصاة أنهم قبل أن يهلكوا لمقاومتهم حب الله هم في دنياهم سلم البشرية إلى مثلها الأعلى ؟ ... وإذا لم يبق في الدنيا شر مات في الناس الطموح إلى الخير . وما أحكم حياة خلقت محدودة للجهاد ، فيها يتصارع الخير مع الشر لينتج منهما الخير الأعظم والكمال الاسمى .

حكى عن صاحب ملايين أنه جن جنونه واعتقد بأنه تحول من أغنى الأغنياء إلى شخص مدين لكافة عملائه ... ولكن قد أدركته رحمة هؤلاء الدائنين فسمحوا له بأن يقترض جنيهاً واحداً في الشهر يتعيش به حتى يوافيه الأجل ... فواظب المسكين على التقتير وأذل نفسه بما لم تتعودها وواظب على أن يمضى أول كل شهر إلى المصرف فيصرف من الحساب الجارى جنيهاً ...

ونحن نفكر في الشقاء حتى نُسلم بأنه حقيقة واقعة يصعب علينا احتمالها . ونفكر فى ضياع النعمة والخير حتى نفقد في حياتنا كل خير . ونرفض عن جنون وعمى روحى أن نعتقد بأن إلهنا خيّر فكل ماله هو لنا . ونعيش فى شُح وتقتير من الخير لأننا نبغي الألم لأنفسنا ونرتضي الشقاء طواعية ، مشتهين أموراً كثيرة تجلب علينا الشر ، وغير راغبين فى أن نتخلى عنها رغم أننا نعلم أن الخير الذى نملكه لا يُحَد .

إن إلهنا قد عُلن لنا فى شخص إبنه ، وأعطانا الحياة فى أن

نعرفه كمصدر لخيرنا وسعادتنا دون تحديد أو تقييد . فلنؤمن بامكانية الحياة الغنية بالبركات بدلا من أن نسوّد صفحة إيماننا باليأس القاتل مصدر الشر والألم والتأوهات ...

والآن بعد أن اطمأنت نفوسنا إلى اختبار الرجاء الجديد فى حياة ملؤها الجهاد للوصول إلى خير غير محدود ، تعترضنا الآن شروراً طبيعية وآلاما خارجية من جرائيم تمنعنا من مواصلة الجهاد إلى براكين وزلازل تهدم ما نبنيه من تقدم ... فلنطيل النظر إليه أكثر حتى ندرك تدبيره الاسمي .

تُرى ما هى حكمته فى وجود الشر الطبيعى ؟ ...

الفصل الثانى

الشر الطبيعى

« لأن الخليقة نفسها ستعتق من عبودية الفساد إلى حرية مجد أولاد الله . . . فان كنا نرجو ما لسنا ننظره فاننا نتوقعه بالصبر ... ونحن نعلم أن كل الأشياء تعمل معـا للخير للذين يحبون الله ... » (رو ٨ : ٢١ ـ ٢٨)

ينبغي أن :

لا نرتئى فوق ما يجب ...

نعمل أعمالا أعظم . . .

نجابه الالم بقوة اليقين ...

نجعل من الايمان عقلا ثانياً . .

. . . فنرى مالا يرى

مسببات المرض والموت

« وبجبره شفينا . . . » أش ٥٣ : ٥

عالج يسوع المسيح أمراضنا فشفاها ، لكنه لم يتعرض لتفسير أسبابها ودواعيها فلم يتكلم مرة عن الجراثيم الفتاكة وعملها بل ولج الباب العملي ليبرىء كل من حوله من أسقامهم وآلامهم . فاذا ثابرنا على التأمل في طريقته هذه لندرك منها طريقة الله لأيقنا أن إرادة الله هى أن تشفى أمراضنا .

لكن كيف نراه كخالق يخلق بيد واحدةمايضرنا ثم يحاول بالأخرى أن يبعد عنا هذا الضرر؟وكيف يسمح للجراثيم وغيرها من الظواهر الطبيعية أن تتكاثر بسرعة مدهشة وفى نفس الوقت يود أن يخلص العالم منها ؟ كيف نؤمن باعلان يسوع المسيح عن الله الآب بينما نؤمن أنه قد خلق كل شيء على وجه الأرض وأنه رآى كل شيء حسناً ؟ وبماذا نعلل سرعة انتشار الأوبئة بطريقة مفاجئة بين السكان الآمنين ؟ وبماذا نقابل الإحصاءات السنوية التى تحدثنا عن صرعى الطاعون والجدرى والسرطان وكل أنواع الحميات ؟ . . لابد أننا نفكر فى أن إلهنا يسمح بتلك الافات الفتاكة ثم يعطي نعمة لآلاف العلماء والاخصائيين حتى

يجدوا لها دواء، وهو يشبه بذلك طبيباً يحقن السم فى الجسد ثم يسارع إلى اعطاء الترياق المضاد.

إننا نريد جواباً شافياً لترتاح إليه قلوبنا بدلا من أن تثور مشاعرنا فنسارع فى الحكم على إلهنا بما توحيه إلينا آلامنا ونريد نوراً كافياً يضىء ظلمة أفكارنا فنحكم على آلامنا بايماننا بدلا من أن نحدد إيماننا طبقاً لآلامنا.

وفى ذلك لا ينبغى لعقلنا المحدود أن يرتئي فوق ما يجب أن يرتئي خصوصا وأن ما نواجهه من حقائق لا يفي بالبحث وما رسم لنا من غايات يصعب علينا تقديرها حق قدرها فلا يمكننا أن نعرف فكر الخالق من نحو خليقته بمجرد أن نقارن أبوته بما نفهم عن الأبوه المحدودة فى حياتنا الأرضية.

إن كل ما يقع تحت إدراكنا من حقائق لمعرفة السبب في السماح بوجود ظواهر طبيعية تجلب لنا الألم من الخارج كالزلازل والبراكين والحشرات الضارة والجراثيم يبين أنه لابد من وجود حقيقة نهائية تتطلب طريقة فى الخلق بها يتعرض الإنسان للالم والموت حتى يصل إلى الحياة الكاملة، ولهذا يقرر يسوع بأن الظواهر لم ترسل كعقاب للخطية حتى قال (أو هؤلاء الثمانية عشر الذين وقع عليهم البرج فى سلوام وقتلهم هل تظنون أنهم

خطاة أكثر من كل الرجال الساكنين فى أورشليم أقول لكم لا) فلا ينبغي أن نحاول عبثاً أن ننفى وجود الألم الخارجي من الحياة لأنه من ألزم مستلزماتها .

لكننا نتدرج الآن فى معرفة الوسائل التى تتحكم فى مسببات الألم ولن نتقدم فى هذا السبيل إلا بمقدار ازدياد محبتنا ... نعم لو فهمنا قوة المحبة وفاعليتها لتمكن إلهنا المحب من أن يظهر أعماله العجيبة معنا لكننا نفهم هذه المحبة ببطء وبالتالى نتغلب على مسببات الألم ببطيء · لقد تعودنا أن نقول عن المريض أنه يتماثل للشفاء ولكن يسوع الإبن الحقيقى الذى يشاركنا فى البنوة قد أدرك قوة المحبة الأبوية لذلك عودنا أن نسمع أنه ينهر الحمي فتترك المريضة فى الحال . فمايتممه الأطباء على مهل وبعد تردد يتممه يسوع المسيح فى لحظة وبدون تردد . إن الإبن الكامل الذى تمم مشيئة الآب كاملة لابدأن يلمس فاعلية المحبة ظاهرة ، فلو كان لنا الإيمان الكافى لأن نسلم كل اهتماماتنا إلى أبينا السماوى متضعين وخاضعين لإرادته الصالحة المرضية الكاملة لأمكننا لا أن نشفى المرضى فقط بل « نعمل أعمالا أعظم من هذه » .

والآن لو بحثنا آثار ما ندعوه شراً طبيعياً لوجدناأن فوائده للانسان أكثر من مضاره فمثلا يسبب قانون الجاذبية تحطيم المنازل أثناء الهزات الأرضية ولكن بدون هذا القانون لا

يمكن لهذه المنازل أن تثبت على الإطلاق. والقانون الذى بسببه تنزلق فى الأوحال وتسقط على الأرض هو هو الذى بدونه لن تتمكن من أن تسير وتثبت أقدامك .

، أيضاً نحن لا نستطيع أن نعيش بدون الجراثيم ، فالبكتريا فى الأرض تحول النشادر إلى أزوتات لكى تستفيد منها النباتات وبها يختمر العجين ويصنع الخبز وتُعمل الأمصال إلى غير ذلك مما يجعل وجودها في العالم من المستلزمات التى تمكن الإنسان أن يعيش .

وقد تتساءل لماذا لم يخلق الله هذه العوامل للخير مع تحاشيه أن تصبح أداة لألم الإنسان ؟ .

إن الله محب والمحبة لا تستلزم الشفقة بل على العكس قد تكون الشفقة دليلا على عدم المحبة . فان كانت هناك عوامل للالم فهي تقف دائما للخير بالمرصاد حتى ينتج من هذا الصراع تزكية تسير بنا إلى الأمام . ومع ذلك فليست هذه العوامل هى الأسس التى بنى عليها شقاء الإنسان وحزنه لانه إن سببت الجراثيم للانسان موتا فما هو إلا وسيلة لانتقال لحياة أفضل . وإن جلب هذا الموت لذلك الميت ألماً وحزناً فهو وسيلة للتدريب فى الحياة لا تثبت قيمتها بالتعليلات النظرية بل باختبار الإيمان الذي ينشيء صبراً وللصبر عمل تام . فيسوع يفسر لنا

هذه الالام من إختبارات الحيـاة ويؤثر بها على قلوبنا فتتسامى أرواحنا إلى سعادة تدوم .

إنه قد علم بنفســه ما هو الألم ! تألم نفسياً وجسدياً وجابه الأضطهاد وترك الأحباء والموت . . . ومع ذلك كان له من الآب ما يجعل العقل فى سلام والروح في فرح . . «وهو فيما قد تألم مجرباً يقدر أن يعين المجربين » .

وعندما ننظر إليــه فى يقين ينادينا لنثق به لأنه قـد غلب العالم . نعم قـد غلب الألم بقوة اليقين ذلك اليقين الذى يهون معه تضحية الحياة ...

إنه يقين بمحبـة الله لك الذى عبر عنـــه الرسول فيما بعد « لا شيء يفصلنا عن محبه الله . . . » أنه يقين بحب أبدي ــ إنه حب يتغلب على الحزن والألم وحب يمتد إلى ما وراء الموت ــ إنه حب لا يري في حل مشاكل الحياة وآلامها صعوبة أو تعقيد.. . فكل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يحبون الله .

ويقين بصلاح الله ــ يقين به نرى الآلام التي حولنا لا تضرنا يقين بأن الله لا يجلب آلاما لا لزوم لها ــ به تقبل أن تخفى عنـا حكمة الله ولو إلى حين لأننا نعلم أن خفة ضيقتنا الوقتيـة تنشيء لنا أكثر فأكثر ثقل مجد أبدى .

ويقين بمساعدة الله في كل وقت ـ يقين به نحيا لا بأنفسنا لأنه سرعان ما يحيا معنا . يقين فيه صرخ يسوع الإبن قائلا «قد أتت الساعة التى فيها تتفرقون كل واحد إلى خاصته وتتركوني وحدى ولكنى لست وحدى لأن الآب معي» فبهذا اليقين لم يحتمل مخلصنا الآلام فقط ولكنه غلبها .

إننا لا ننكر فضل العقل فى معرفة الحقائق ولكن هناك عقل ثان يأتينا بالايمان حين نختبر السير فى الظلام . حيث لا ترى عيون العقل بقدر ما تنفتح عيون القلب . فبينما نحن نحل مشكلة الألم بالعقل الأول والمعرفة الأولى نجد السيد المسيح قد هدم أساس المشكلة بالعقل الثانى والمعرفة الثانية البعيدة المدى . ولذلك لم يبق أمامنا سوى أحد أمرين إما أن نرفض الايمان بمحبة الله فنتشاءم ونيأس باحثين عن العزاء فى آلهة هذا العالم وشهواته المتعددة ، فنضيع الحياة فى محاولات فاشلة ولا نلبث أن نفكر فى الهرب من آلام تلك الآلهة أيضاً . وإما أن نتخذ لأنفسنا طريق الايمان الذى يؤدى بنا من الألم إلى الانتصار ويستخدم حتى الشر نفسه لنصل إلى حياة السعادة والخلاص والخير الأعظم .

قد دعا يسوع جميع الناس إلى شركة الايمان ، وبذلك الايمان

شفي أمراضهم . فلو كنا نستطيع أن نصل إلى هذه الشركة لكان فى إستطاعته أن يزيل عنا الألم والمرض ، حينذاك نستطيع أن نتفهم إرادته فى أن نكون أصحاء ، كما نقدر أن نخلق من إيماننا مناعة ضد المرض . وإن كان العلم يؤمن الآن بما لتغير النفسيه من تأثير فاننا نثق بالأولى فى أن التداريب الروحية والشركة السرية بالهنا لها كل الأثر فى إصلاح جميع نواحي حياتنا .

فالآن ليتنا نديم النظر إلى مثال سيدنا المبارك معتمدين على فكره **لا** على فكرنا ، متمسكين برجاء حبه **لا** بالخوف الذى يبعث على الالم عالمين أن المحبة تطرح الخوف إلى خارج . . . إن شكوكنا في هذا الموضوع قد تكاثرت لاننا عقدنا الامور ببحوث غير مجدية سعياً وراء فهم طبيعة وأصل هذه الشرور بينما تتبدد كل الغيوم بسرعة عندما نرى الحل البسيط الذى يوجهنا إليه يسوع لنعيش كما عاش هو متقدمين بالايمان إلى الامام . حتى وإن كان الاحتياج إلى التعليل يمنعنا من التقدم . ولنصرخ معه صرخة الانتصار الاخيرة عندما يعم حولنا الظلام قائلين كما قال « أيها الآب فى يديك استودع روحي » حينذاك نجد أباً موجوداً مادام يطلب ، وقريباً مادام يوجه إليه نداء الايمان بحبه الأبدي .!

لم يعد للخطية صولة بعد أن منحنا النعمة .

ولم يعد للمرض والموت دولة بعد أن تحولت آلامنا إلى لذة .

ولكن لماذا نتفاوت فى الأحوال فيشقى البعض جائعاً محروماً . ويفقد البعض الاخر حساسيته لانه يعيش متخماً ؟!

فلنطل النظر ... لأننا سوف نري أكثر !!!.

الفصل الثالث

الشقاء الاجتماعى

« لأنى جعت فأطعمتمونى . عطشت فسقيتمونى كنت غريباً فآويتمونى . عرياناً فكسوتمونى . مريضاً فزرتمونى محبوساً فأتيتم إلىَّ »

(مت٢٥:٣٥ـ٣٦)

الشقاء الاجتماعى يكمن سره فى : —

مفاضلتنا بين أفراد البشرية

ونسياننا ما لقريبنا علينا

وتحديد علاقاتنا وفق مآربنا

تفاوت الأحوال

« افعل هذا فتحيا » لو ١٠ : ٧٣

لقد رفع يسوع الحجاب عن أعيننا فرأينا الله أباً محباً رغم ما نلمس من شر في البشرية ورأيناه يريد لنا خيراً رغم الأمراض التى تحل بنا والبلايا التى تحوق بعالمنا . ولكن كيف نستطيع أن نراه إذا تألمنا فى عالم مملوء بالفقر والجهالة لا ينتهى مافيه من جرائم وحروب . عالم ماأعظم الفرق بين طبقاته فهذا فقير تحل به كافة الشرور لفقره وذاك غنى يفقد الاحساس والشعور لغناه . . . !

دعنا الآن نعيد النظر إلى يسوع لعل فى تلك الرؤيا نوراً يشع فيكشف لنا سر شقاء الكثيرين فى هذا العالم . . .

أنه سر يكمن فى تمييزنا ومفاضلتنا بين أفراد البشرية فنصدر أحكامنا على الناس وفق إهتماماتنا الشخصية ثم لا تلبث أن تصبح هذه الأحكام حقيقة ثابتة لا تغيرها الحوادث مهما تعاقبت ولاالقرائن وإن توالت. إننا نلصق إعلاناً على ظهر كل من يحتك بنا

ونكتب فيه ما يروق لنا . فنكتب لمن لا يوافقنا أنه « عنيد » ونصف من لا نحبه بأنه « حقود » ونعتبر من يجاري ميولنا أنه « خل وفيّ » ونحكم على المجرم والسارق فننزل به الى هوة عميقة القرار بينما نضع انفسنا فوق جبل عالى القمه . . . ولكن لوكانت إهتماماتنا الشخصية هي وفق اهتمام السيد المسيح لما صدرت منا أمثال هـذه الاحكام فاختلاف اهتماماتنا عن ارادته يبعدنا عن المقياس الحقيقى الذى يجب أن نقيس به الآخرين .

ونتيجة لاحكامنا هذه ارتفع المرتفعون وهوي البائسون . فان كان مجتمعنا يسوء حاله فما ذلك إلا من فعل أيدينا .

نحن جميعاً متساوون فى نظر الله مهما اختلفت الهبات التى وهبنا إياها وهو يعتبرنا أعضاء اسرة واحدة ، وابناء لأب واحد لـكننا لا نود أن نعرف قيمة الآخرين وحقيقة نسبتهم لنا . وإذا عرفنا تلك الحقيقة فمعرفتنا وقتيه لا تدوم لأن اهتمامنا بالغني والمركز والشهرة يحولنا عن أن نرى الآخرين لنا اخوة وبالتالى نفقد ما لنا عند الاله من أبوّه .

لننظر إلى يسوع فى حكمه على الناس :ـ أنه لم ير الأبرص كأبرص بل كرجل له قيمته كالسليم تماما ولذلك لم يتوان عن أن يلمسه بيده الشافية . إنه لم ينظر للزانيه كزانية ولـكن كامراة لها مشكلتها الخلقية فيحل ما أشكل عليها . كما أنه لم يهتم

بأموال الشاب الغني عندما أتي طالبا حياة أبدية . فهو لم يدن الناس بل اعتبر الجميع رجالا ونساء محتاجين الى اعلان محبته فيهم وظهور أبوة الآب لهم . فان نظرنا كافراد وكشعوب كما نظر المسيح لابد أن نرى إننا جميعاً أفراد أسرة واحدة تعمل فى تضامن لغاية واحدة وتتضافر جهودها لخير واحد وصالح عام ، حينذاك تحل كافة مشاكلنا الاجتماعية بدون تعقيد أو إبهام .

ويكمن سر الشقاء الاجتماعي فى عدم اعتبارنا ما للغريب علينا ، فنسرع فى وضع احكامنا على الناس نصب أعيننا عندما نفكر في معاملتهم وبذلك تقف تلك الاحكام كحائل يعوقنا عن فعل الخير معهم ـ نحكم على جارنا أنه ملحد قبل أن ننظر اليه كبشرى يحس بالخير ويؤمن بالمحبة ويمارسها مع عائلته وذويه ، وأمام هذا الحكم نحجم عن معرفته معرفة حقيقية أو الاتصال به فى صراحة قلبية حتى يلمس فينا محبة كاملة فيرى نوراً ساطعاً يشرق فى ظلمة نفسه ـ نور المسيح ـ ونحكم مثلا على جارتنا بأنها متطرفة في تدينها أو متعصبة لعقيدتها قبل أن نراها كائنة للآب الواحد لذلك نتحاشى الاحتكاك بها وربما نتمادى فنعاديها .

إننا نحجم عن معرفة حقيقة القريبين منا منتحلين لذلك كافة الأعذار التى تبرر مسلكنا غير عالمين أن الصفات التي نلصقها على ظهورهم هي غالبا متأصلة فينا . كما أنه سريعا ما يزيد

اهتمامنا برؤية أعمالهم التي لا تتفق ورغائبنا بدرجة تبعث الحقد في نفوسنا فلا يعود للايثار أو الخدمة المضحية معني تفهمه عقولنا .

ويكمن سر الشقاء الاجتماعي فى تحديد علاقتنا بالآخرين وفق مآربنا الخاطئة ـ فيسهل علينا أن نلوم الغير بدلا من أن نوجه اللوم لانفسنا وإن شعرنا بالكراهية نحو انسان نسارع فى الحكم بأنه هو الذي يكرهنا ولا عجب فمن دينونتنا للآخرين ندين انفسنا وفى انتقادنا لهم نبوق بالبوق معلنين ما إستتر من خطايانا ، مجسمين على غير قصد منا ما اختفى من عيوبنا ، وكارهين فى سلوكهم نفس الأمور التي تكمن فى صدورنا ، وحاكمين بأن « يطرد الرجل » المغتصب من أوساطنا في حين أن حكمنا هذا يعلن حكم الله علينا على لسان نبيه ناثان لداود الملك قائلا « أنت هو الرجل »

فلا غرو اذا ما حولنا الدينونة من أنفسنا الى القريبين عنا ثم الى حكومتنا ثم الى الله عز وجل قائلين له كآدم لماذا خلقت لنا هذا الشقاء ! أما إذا نزعنا ما لصقناه من اعلانات على ظهور الآخرين لنلصقه على جباهنا فاننا نقابلهم فى صراحة ووجدان ونعاشرهم بمحبة وايمان . ونكون بذلك قد نزعنا الخشبة من اعيننا لنبصر جيداً أننا وغيرنا اخوان بل لنؤمن بعالم تتحد رسالة الأفراد فيه لانها رسالة الخير العام ـ رسالة الاسرة المتحدة التي اقتناها الآب المحب بدم الابن الذى أحب .

هلا نذكر أن للآخرين نفس مالنا من حقوق ! وهلا نتأمل مايخالجهم من وجدان يشابه وجدانا ؟ أم تعميناخطايانا واهتماماتنا الذاتية عن الطريق المؤدي إلى السلام على الأرض والمسرة التى تعم البشر ؟

إن هذه الخطايا وتلك الإهتمامات هى هى التى تؤدي بنا إلى الألحاد مع أنها السبب الأساسى فى الشقاء الاجتماعى الحال بالعالم ـ بها ننكر الله الآب لأننا نفرق بين الاولاد ـ ومن العيب أن نحاول نزع هذا الشقاء بواسطة التقدم العلمى لأنه وإن كان العلم ينفع إلا أن المحبة وحدها هى التى تبنى · وها هو العلم قد أدى إلى الحرب بالأسلحة الفتاكة بدلا من الحرب بالسهام والنبال. ومن المستحيل أن نصل إلى الاستقرار والسلام بواسطة النظم الاقتصادية مهما كان سموها مالم يقوم كل نظام على وجهة نظر روحية صحيحة كامنة فى أعماق قلب البشرية · فالعامل الأجير الذى يتطلع إلى أجر يومه وعينه تتردد طول ذلك اليوم إلى الساعة لتنظر انتهاء عمل اليوم لن يفترق قيد شعرة عن الرأسمالى الذي يمتص المال ويسخر الأجير ...

† † †

والآن ! هل نطرح أفكارنا العتيقة تحت صليب ربنا الذى أعلن لنا فكره الجديد عن عالم محبوب . وهل نسعى لخلاص

نفوسنا مادام الباب مفتوحا . وهل نصـــلى فى هدوء وإيمان طالبين أن يفتح الرب قلوبنا وينزع القذى من عيوننا كى لا نرى جارنا « السامرى » عـــدواً لنا نحن « اليهود » بل نراه قريبا وأحـد أفراد أسرتنا الذى نرتبط به بالأخوة ويصلنـا به استطاعتنا على أن نفعل معه رحمة .

أيها الحبيب إن الآب الذي أحبنا إلى المنتهى أعطانا إعلانه المنـير فى شخص إبنه . فاخضع لفاعلية حبه وافتـح عينيك فى ضيـــاء شمس بره لترى نوراً لن يدركه ظلام . . واصغ بأذنك لتسمع صوته يناديك قائلا « إفعل هذا فتحيا » !

الباب الثالث

بعد رؤيا الايمان

« الله لم يره أحــد قط . الابن الوحيد الذى هــو فى حضن الآب هو خبّر » يو ١ : ١٨

١ ـ الى الامام !

٢ ـ بقوة وفرح وسلام

٣ ـ واتحاد برب الانام

الفصل الاول

الى الامام

« لذلك ونحن تاركون كلام بداءة المسيح لنتقدم الى الكمال غير واضعين أيضاً أساس التوبة من الأعمال الميتة والايمان بالله » (عب ٦ : ١)

الى الأمام
بلا تحفظ أو تقهقر أو ندم
وفي صبر نتمم كل عمل .
وبروح لا ينطفيء ولا يحزنه

ناظرين الى رئيس الإيمان ومكمله يسوع (عب ١٢ : ٢)

ان المؤمن ببنوة يسوع المسيح لله وموته على الصليب لأجل الناس ولأجله شخصيا . هو الذى يقتنع بتعاليم المخلص وأتباعه الحقيقيين ويشعر باحتياجه إلى التخلص من خطاياه وإتباع خطوات من أحبه . وهو الذى يتحول من الحياة الجسـدية وأفـكار الارادة الذاتيه إلى تمام الحياة الروحية التى بها يعاين الله ويتحد مع ذاك الذى مات كي يعيش الأحياء فيما بعد لا لأنفسـهم بل للذى مات لأجلهم وقام . . .

والمؤمن هو الواثق بمـا يرجى والمؤمن بأمور لاترى والمعتمد على إله حى والمصدق لـكافة مواعيد المحبة فى بساطة وإستسلام . وهو العامل لـكى يظهر يسوع المسيح فى حياته المستنيرة لـكى يعلن نور المسيح للساكنين فى الظلمة . . .

فهل لنا مثل هـذا الايمان الذى به نرى ما لا نرى ونثق بمواعيد منتظرة ونعمل بما توحيه لنا تلك الرؤيا ؟ . وهل لنا من إيماننا مايزيد على مجرد الاعتقاد فنبـدأ بالاقتناع العقلى ثم نواصل السير بالطاعة حتى نصل الى الفرح والانتصار ؟

بادرت إبنة صغيرة إلى سؤال أمها قائلة « هل أنت ياأماه مسيحية ؟ فأجابتها الأم بتعجب كيف تسألين هذا السؤال وقد علمتك كل حقائق الايمان ؟ فأجابت الأبنة « نعم يا أماه ولـكنك قد انتهرتينى بغضب وحدة حينما لم اكن أقصد أن أكون مشاكسة

وهنا يقف القلم عن الكتابة لينعكس كل فكر الى داخل القلب ولنبدأ لنبحث ذواتنا فاحصين نوع الايمان الذي نؤمن به ومحل العقيدة التى نعتقدها . لعلنا نري ان كنا بعدمسيحيين لم يدع علينا اسم المسيح باطلا أم نحن أشباه مسيحيين ربما كان الذين خارج المسيحية أقرب الى المسيح منا ! .

. . . ان الإعجاب بيسوع المسيح له المجد يسود العالم أجمع مسيحياً كان أو وثنيا مؤمنا أم ملحداً ولكن هناك حجاب تجعل وجه الله الآب غير معلن تماماً لهذا العالم وليس هذا الحجاب سوى مسيحيتنا نحن .

فالحقيقة المرة هى أن ملكوت المسيح قد حجب عن أعين البشر بواسطة أولئك الذين من المستحسن أن يغربلوا من المسيحية ليظهر نورها ساطعاً .

ليت العين تبكى والقلب يتحسر لان الامر جد خطير اذ فنتسب الى حظيرة المسيح بينما نعاديه بسوء مثالنا . ويخالف فعلنا حقيقة الاسم الذي دعى علينا . وفى رياء وخيانة نتمرد على من أحبنا فنحجب وجهه عن المعجبين به المتطلعين فى رجاء الى خلاصه !

فان اتضحت أمام عيوننا حقيقة حالنا المؤلمة لانيأس بل

نثق بالاولى بأن الرب نفسه قد وعدنا بتطويباته عندما نصل الى الايقان بحقيقة هذه الحال . ولنوقن تماما بأنه يعطى الغبطة لمن يزداد تشوقهم الى ملكوته بقدر ابتعادهم عن هـذا الملكوت . ولنؤمن أن مسكنتنا الروحية وجوعنا وعطشنا نحو البر لن يكون الا عربونا لسعادة ملكوته الذى يملأ قلوبنا بالبر والسلام والفرح فى الروح .

هنا نقف جميعا فى مفترق الطرق فاما أن نراه فتفعم قلوبنا بكل رجاء . واما أن نفشل فى أن نراه فنيأس ، واما أن نسير إلى الامام جاعلين اياه بداءة كل شىء منتظرين عونه فى كل شىء ، وإما أن نرتضى الاستسلام لاذهاننا المرفوضة فنفقد حياة لها قيمتها لذلك يحق لبطرس الرسول أن يحذرنا قائلا « ولهذا عينه وأنتم باذلون كل اجتهاد قدموا فى إيمانكم فضيلة وفى الفضيلة معرفة . . . وبالأكثر اجتهدوا أيها الاخوة أن تجعلوا دعوتكم واختياركم ثابتين » ٢ بط ١ : ٥ ، ١٠

ان الرب يسوع المسيح الذي أحبنا يحدد مدي استعداده لأن يقوينا بنوع الارادة التى فينا وان كنا مخيرين فى أن نرغب فى حياة الايمان أم حياة اليأس والفشل فهو أيضا سوف لا يقاوم ارادتنا بل يوجهها بعمل ايجابى من جانبه ليعين ضعف ايماننا فنصبح بعدئذ مقيدين بقوة محبته ومسيرين

بفاعلية الايمـــان به ... لـكـنه يعود فيحدد أمد ظهور قوته معنا فيحدثنا عن خطورةمن يذوقوا حلاوة عشرته ثم ينكصون على أعقابهم مرتدين ... إنهم لحبه لم يعودوا مستحقين لأن من يضع يده على المحراث ويرجع الى الوراء لايستحقه ! . .

† † †

نتبعه فى ضعف إيمان ولـكنه يعين ضعف إيماننا ... إنه إيمان يدعونا لنترك كل شيء ولايكتفى بأن نترك بعض مالنا ... وكثيراً مانقول أليس من المعقول أن نترك البعض حتى نشعر بأ نناقد خذنا منه مايعادل فقرنا ؟ ألا ينبغى أن نترك كل ماليس له قيمة فى حياتنا ونتشبث بما استتر وأستحب من خطايانا وأهوائنا ! ألا ينبغى ألا نهمل كل أصدقائنا حتى نستطيع مسايرة النـاس عسى أن نتحول عن حب عيوبهم تدريجياً . !

لـكن إن كان لنا أن نفـكر بأن مانتركه يعد خسارة ، فلا بد لنا أن نخسر بلا تحفظ أو مساومة . وهنا يظهر عمل الإيمان فى خسارة تدعو إلى كسب قريب ... ! عمل إنتظـار عصـافير الشجر وخسارة العصفور الذى فى اليد ... ! عمـــل يدعو إلى عدم التحفظ لأنها خطوة وقتية لـكي ننظر بأعيننا الروحية إلى الجعالة الأبدية . تلك الجعالة التى تجعلنا نردد مع بولس الرسول قوله « الذى من أجله خسرت كل الأشياء وأنا أيضا أحسبها

خسارة لكى أربح المسيح ربي »

أيها الحبيب إقبل عمل الله فى حياتك لئلا تخسر هذه الحياة ، وسلم له كل أمورك لأنه فى مثل هذه المرحلة يصبح الفرق بين الحياة والموت متوقفا تماماً على مدى استعدادك لاختبار قوته وانتظار عمل نعمته . إن الأمر يحتاج منك الى الصبر عندما تستمر فى جهادك حتى تقتني نفسك بصبرك . وتلج أبواب النعيم بطول أناتك عالماً أنه إن كان يتأنى فما ذلك الا ليستعلن مجده لك بأجلى بيان فاحذر من أن تقلق لأنه لن يتأنى باطلا ولا يتأخر الا ليثبت حضوره معك فى الفترة الطويلة التى ظننته فيها انه قد تركك ويؤكد لك انه كما علت السموات عن الأرض هكذا علت طرقه عن طرقك .

لكن هذه الطرق سوف تكون فى متناول يدك لأن روح الله الساكن فيك يعلم حتى أعماق الله الساكن فى الأعالى . فانتظر فى صبر وطول أناة حتى ترى حكمة تعجز أن تراها فى كثرة التذمر والاضطراب . وأحسبه كل فرح إذ تمتحن لتتنقى عالماً ان « امتحان الإيمان ينشيء صبراً وأما الصبر فله عمل تام »

اخضع له فى بساطة قلب واستمع لارشاد روحه الساكن فيك واثبت له اتضاعك بسماعك لصوته الصارخ داخلك . عالما أن الرب قد أعطاك من الوسائط ما يرفع ذهنك وقلبك عن كل

ماهو مادى الى كل ماهو روحي ، فاقبل وسائط النعمة من قراءة فى كتابه لتري أكثر ، الى رفع قلبك لتحادثه ويحادثك فتلتهب روحك فى داخلك ، الي صـــوم به ترفع عن نفسك ما يعوقها وتحيا مدربا ذاتك على الاحتمال والقنـــاعة والشعور بالاحتياج الحقيقى الى عون القدير الذى يغذى نفسك ، الى ممارسة لأسراره الالهية التى وان أعطاها لنا ظاهرة تحت أعراض ماديه فهو بذلك يود أن نقبل حكمة السماء بما يقرب من فـكر الأرض ويجعل الابدى فى متناول يد أصحاب الحياة الارضية . إقبل كل ذلك بلا تردد لأ ن فـكر العقل يتأثر بالعناد وعـــدم القبول فيحكم بما ينافى حياة الايمان .

أطلب فيض روحه القـــدوس وهو الـكفيل بأن يثبتك ويرشدك ويعلمك واطلب أن يثمر روحه داخلك حتى يحولك لتعاين مجد الهك . . . ان روحه القـــدوس يشفع فينا بأنات لاينطق بها ويهتم بخلاصنا ويحرص على أن يوقظنا فى كل فرصة تتاح لنا لـكننا نحزنه بتعدياتناونؤلمه بما فى أفعالنا من إنـكار وجحود لحبه الالهي .

أما إذا اشتعل فينا وأطعنا إرشاده فى خضوع وصراحة واستسلامتام لفاعليته داخل القلبفانناسريعاًماننـكس علمحب الذاتونرفععلم المحبة عالياًمشتعلابنوريضىء لـكل من فى العالم .

الفصل الثانى

بقوة وفرح وسلام

« وليملأكم إله الرجاء بكل سرور وسلام في الإيمان لتزدادوا
فى الرجاء وقوة الروح القدس » رو ١٥ : ١٣

نختبر فى حياة الإيمان : —

قوة على الخلاص من الخطايا ،
وقوة على تسليم الحياة لإلهنا .
سلام تؤيده الأيام ،
وسلام من يرنو الى ارض الوطن ،
فرح لأنه الرب يقبلنا
وفرح لأن يده تعمل معنا .

« فعاد وعمله وعاء آخر كما حسن فى عينى الفخارى أن يصنعه »
(أر ١٨ : ٤)

نرى فى حياة الإيمان مالا نراه بالعيان . وإن بدأت حياة الإيمان بانتظار المستقبل السعيد إلا أن نمو الإيمان يجعلنا نثق فى الحاضر الذى نعيش فيه فنبدأ لنختبر قوة الأعالى فى كل حين .

عجباً ! فقوة الإله تصبح فى متناول أيدينا ووفق إرادتنا ، إن شئنا إستخدمناها وإن شئنا رفضناها ، وإن فتحنا عيوننا رأينا مجد إلهنا إذ سريعاً مايتدخل فى حياتنا لأن الله الذى أشرق نوراً فى الظلمة هو الذى أشرق فى قلوبنا لإنارة مجد الله في وجه يسوع المسيح ، ولكن لنا هذا الكنز فى أوان خزفية ليكون فضل القوة لله لا منا .

هذه هى قوة الأعالى . قوة الحب الالهى تظهرفى تخلصنامن خطايانا وغلبتنا على شرورنا . لقد عجز أنبياء العهدالقديمعن التعبير عن هذا الخلاص من الخطية والتحرر من أغلالها لكن ميخا النبى حاول توضيحه بقوله « وتطرح فى أعماق البحر

خطاياهم . » كما زاده أشعياء النبى أيضاحا عندما قال « أنا أنا هو الماحي ذنوبك لأجل نفسى وخطاياك لا أذكرها . »

إنه خلاص يطرح عنا أحمالنا إلى أعماق بحر فلا نعود نراها ، وإلى وراء ظهر الرب فلا يعود يذكرها . وإن كنا نخشى أن نجابه الله بخطايانا فما أحلى أن يجابهنا بقوة حبه لنا الذى ينتزع منا كل خوف فنرنم فى إنتصار قائلين مع دواد النبى « كبعد المشرق من المغرب قد أبعد عنا معاصينا . »

والآن تحت صليب ربنا ومخلصنا وفادينا يزداد إيماننا عما أعلن فى العهد القديم عن قوة الله على الغفران لأننا نؤمن الآن بكمال قوة هذا الحب الفياض « فدم يسوع المسيح إبنه يطهرنا من كل خطية . »

فيا رافعاً الحجاب الذي بينناوبين إلهنا ، ويا معلناً لنا طبيعة أبينا ، ويامطهراً بدمك الزكي كل معاصينا ، ويامحرراً قلوبنا من رباطات ماضينا : إستلم ذواتنا منذاللحظة لأننا بكليتنالانستطيع أن نعيش بدونك وادخل إلى مخادعنا حتى وإن أقفلت الأبواب . حل فى وسطنا حتى نضع أصبعنا في جنبك المجروح ونصرخ لشدة ما تألمت من أجلنا . وادعنا الآن لنطوّب بحياة الايمان « لأنه طوبى للذين آمنوا ولم يروا . . . »

حررتنا من ماضينا ! والآن نبغي خلاصاً بالايمان من متاعب حاضرنا ٠ إن إنساننا العتيق يتصارع مع ماوهبنا من حياة جديدة ، ولكننا نواصل الايمان بحبك والايقان بجمال الرؤيا التي أريتنا إياها عن أبيك فنعلم أن كل قديم فينا يمضي ويزول ، ويمتلىء إناء الفخاري الذي تحوله وتصنعه حسب مشيئتك من كنز النعمة ... لتعطف محبتك علينا حتى لايجد السقوط والفشل إلى نفوسنا سبيلا ، فتتلاشى رغباتنا وميولنا الذاتية إذ نتطلع إلى صالح ارادتك المقدسة ولنصلب أهواءنا مع أجسادنا لنحيا من جديد لك ياالهنا .

نختبر فى الايمان قوة على التخلى عما نعتبره لنفوسنا . فنسلم ذواتنا تسليما كاملا ـ ناظرين الى كل رغائبنا ومسراتنا وعواطفنا وغاياتنا في ضوء حبه الإلهي ـ ان الغاية الخاطئة تحول غرائزنا الأولية من الأمور الصالحة إلى الأمور الشريرة . فمثلا يودع الله فينا غريزة الملكية لكن تحولها أغراضنا الخاطئه الى حب تكديس المال ،فنفشل في كيفيةاستخدامه لأننا نعمل مفترضين أن الرجال تتوقف على المال بينما الحقيقة أن المال يتوقف على الرجال ٠ نعم ان أغراضنا الخاطئة تجعلنا نفهم أن مالنا هو ما يخزن دون أن يستخدم والحقيقة أن مالنا هو ما يستخدم لخير اخوتنا في المسيح وليس ما يخزن ـ وإذ يودع الله فينا

غريزة المحافظة على الذات نحولهـا الى كبرياء فنعتد بمركزنا ومجتمعنا وجنسنا الى غير ذلك مما يحول هبات الله لنا الى حواجز تخفيه عنا حتى تظهر ذواتنا ... إننا نتمسك بمـا يسميه القانون والـكنيسة « حقوقا » بينما نتخذ من هـــذه الحقوق طريقاً للـكبرياء والرياء ، وسبيلا لإظهار البر الذاتي والمفاضلة ـ لقد تحولت غريزة المقاتلة الى مبرر للحروب، وقادتنا غريزتنا الجنسية الى محاكم الطلاق وتشريد الأطفال وتعاسة الـكثيرين ممن خلقوا مشوهين بسبب الأمراض الخبيثة . وأصبحت رغبتنا فى تجنب الخطر هروباً من رؤيا الله ومن التطلع الى أعماق أنفسنا ، وأردنا أن نعيش فى حياة نحاول اخفاء حقيقتها بالانغماس فى الملذات مبتعدين عن النور لئلا نجابه الحق ـ تلك هي النتيجة الطبيعية لتحول رغائبنا الى الاهتمام بذواتنا لـكن اذا عشنا في نور الإيمان ، وعرفنا غاية الله فينا ، وأدركنا سمو المحبة التى هي رباط الـكمال الالهي . سرعان ماتتحول كل غرائزنا وميولنـا نحو غاية عظمي . نحو ملـكوت الله ، ملـكوت السعـــادة والحق والخير .

فيا واهباً ينابيع ماء حى لـكل من يدرك مدي محبتك للبشر شع علينا بنعمتك لتجعـل ذواتنا مجرى صالحاً لقوتك

العلوية ، واستخدم بحكمتك كل ما نملك حتى نصبح آلة فى يدك نستعلن بها مجدك وملكوتك للذين دعوتهم إخوانك ، وانزع من نفوسنا كل إهتمام ذاتي حتى نرفض مجد الناس ونضع أمام أعيننا إرادتك ، وحولنا عن إثارة المنازعات إلى إعلان الحق ومحاربة كل ما يضر البشر ، وغير شهواتنا الى محبة بها نسمو الى الحياة الفضلى . . ويا روح الله القدوس ارشدنا لندرك طريق الكمال واكشف عن أعيننا لنرى عجائب قوة العلى ونلمس أن فى قوته كفايتنا ، فما أشبهنا بفأر صغير يدخل مخازن أرض مصر خائفاً من سبع سنى الجوع لكنه يسمع صوت يوسف مطمئناً بأن مخازنه تكفي الجميع . . .

شكراً لله لأنه اذ يعلن ذاته لنا يقترب منا برحمته وحبه فننتصر على كل قوات الظلمة ، وشكراً له اذ لا يعوزنا بعد لشىء ولن يفصلنا عنه ضعف أو احتياج لأنه لنا أعظم من كل احتياج ، وشكراً له اذ يظهر عند الشدة ويهبنا احتمالا واختباراً لمحبته عند المرض والآلام ويعلن لنا مصدر قوته عند الشفاء . ويلذذ نفوسنا بعزائه عند كثرة ما يلم بنا من هموم . . .

نحوز بالايمان على القوة . والقوة نبع للسلام · اذ نشعر باطمئنان من لا يعوزه شيء .

إنه سلام من تتوافق روحه مع روح الله فنقابل الآلام بالفرح والاتعاب بالابتهاج عالمين أن هذه مسرة الآب . غير خائفين من أشد المصائب لأن إلهنا معنا يلازمنا حتى في وادي ظل الموت . إن سلامه الكامل هو وحده مصدر راحتنا وهدوءنا فلا نحاول أن نهدىء قلوبنا وأفكارنا المتعبة بأية وسيلة أخري مهما بدت مملؤة من السلام .

ولئن نظرنا إلى عالم مملوء بالحروب فلا نضطرب ، لكننا أيضاً لا نقضى أيامنا حالمين بعالم خيالى سعيد بل نسارع إلى العمل لأجل الغرض الإلهى وفى ذلك لنا سلام - إن الكثرين منا يضيعون الوقت والقوة فى تصور عالم فيه يجنى الورد بدون أشواك ويأتى الربيع بدون شتاء متمنيين أن يأكلوا ويشربوا وينامو فى بحبوحة لاتعرف للالم مقاما . فلئن كانت مثل هذه الأحلام تعبر عن عالم نموذجي فاننا لا نجد مثله في عالم الحقائق فمن العبث أن نتمنى عالم غير عالمنا ، بل كل ما نستطيع أن نفعل (لنغير وجهة النظر) هو أن نعيش في هذا العالم مع الآب وللآب مكرسين أنفسنا للعمل بدلا من التعلق بخائب الأمل .

إنه سلام الثقة بالمستقبل فلا نعود نهتم بالغد بل يكفى اليوم شره ... لقد غفرت لنا ذنوب ماضينا وتكرست لله أعمال حاضرنا فأمر المستقبل لن يضيرنا لأنه في يد من أحبنا ... أن

تكاثرت أمام ناظرينا دوافع الحزن والألم فنحن نؤمن بأن قلوبنا لن تحزن . وإن حلت في حياتنا سحب تنذر بغموض وابهام فلنا الثقة بالهنا الذى يعلم كل العلم ولهذا يفيض فينا نبع السلام الذى تؤكده الأيام فيتأصل على مر السنين والأعوام .

أنه سلام من يرى أنوار أرض الوطن ، فنعيش في ثقة بالإنتصار على الموت فلا نرى فيه مغيب شمس بل نعاين اشراق المع الشموس ضياءآ . ان الرب يسوع المسيح قد وعدنا بأن يعد لنا مكانا فعلى رجاء هذا الوعد نحن نعيش في سلام وليس سلامنا هذا خيالا لأننا نجاهد لنحتفظ به . وليس فيه خلود إلى الراحة لأننا كمسيحيين لانجد لنا مكانا فى أرض الغربة لنسند فيه رؤوسنا . وليس فيه أمان مادي أو تحرر من ألم خارجى لأنه قد اشترى لنا بالألم ، ويتحقق لنا عندما نخطو بجرأة الإيمان فى الظلام واثقين أنها خطوة تخرجنا من الظلام إلى النور .

حدثتنا أيها الرب الحبيب عن مكان راحتنا فى دار الخلود ثم ارتفعت عنا بالجسد ولكن فى رفعتك جذبت نفوسنا إليك فلم نعش هاهنا إلا بالجسد ، وعن قريب يفنى هذا الجسد فتختم أشواقنا بمعاينة مجدك فى حياة الأبد . قد رُجم بالحجارة

ولكننا نعاينك فى السماء مبتسما فتشرق وجوهنا كاستفانوس . وقد نلاقى كل ضيق ولكن عند توقع الذهاب إليك نشعر بكل سلام . وقد نئن متوجعين لكننا ننتظر استعلان مجدك . وقد نشتهى مجيء ملكوتك على الأرض ولكن هذا لن ينقص من « اشتهائنا أن ننطلق ونكون معك . . . فان ذلك أفضل جداً . . »

ويصحب سلام الله الكامل فرح بشركته واكتمال مشيئته ـ إنه فرح يغمرنا عندما لا نرى حائلا يفصلنا عن محبة إلهنا ، فنتهلل مع رسله الذين حسبوا مستحقين أن يتألموا من أجل إسمه ، ونسير مرنمين ولو جذبنا وراءه فى طريق جثيمانى والجلجثة ـ ولئن رفضنا العالم فنحن نفرح لأن الرب يقبلنا ، وإذا رذلنا الناس فنحن نفرح لأن الحبيب يسوع يطوبنا .

فافرح أيها المسيحي مرنماً مع بولس وسيلا فى سجنيهما . ورتل مع قديسيه ترتيلة الفرح والغلبة التى لإلهنا . وافرح ففرح الايمان لن ينزع منك وإن سكنت أنغام الدف والقيثار . وارتفع صوت الألم . إن بهجة التسليم لله تلازمك ولو فارقك الأحباب والأنصار . إن غبطة الانتصار تسطع على محياك حتى وإن كنت كمن سقط في هوة ليس لها قرار . . . افرح فى

وحدتك بيسوع حبيبك ، وافرح فى مجتمعك باستخدامـــه لشخصك ، وافرح فى محنتك بالرب معزيك ، وافرح عند موتك بالمخلص مصدر انتصارك « إفرحوا في الرب كل حين وأقول أيضاً إفرحوا »

الفصل الثالث

اتحاد بالمسيح

« إن ثبتم فيَّ وثبت كلامى فيكم تطلبون ما تريدون فيكون لكم . بهذا يتمجد أبى أن تأتوا بثمر كثير فتكونون تلاميذى . كما أحبنى الآب كذلك أحببتكم أنا . إثبتوا فى محبتى » يو ١٥ : ٧ ـ ٩

اتحاد فى الفكر

والقول

والعمل

*

« أنظر ها أنا أصنع كل شيء جديداً » رؤ ٢١ : ٥

— هل عرفت يسوع ؟ .
— ولماذا اهتم بمعرفته . أنه لا يزيد عن أى زعيم مضى زمانه وانقضى .
— هل عرفت فيه ابن الله · الذي خبر عن أبيه .
— أى إله ! . . . أننى لا أؤمن بالالهة .
— « ان الانجيل يقرر بأن من لم يؤمن يدن . »
— قلت لك إننى لا أعترف بالله ؟ ولا بما تسميه الانجيل .
— هذا لا يهم « فمن لم يؤمن يدن . »
— ألم أقل لك أننى لا أؤمن بالله ؟ أنه لا يوجد إله .
— لكن « من لم يؤمن يدن ! ! » .

بتلك المحادثة حاول أحـد المؤمنين المبتدئين فى دراسات الدين أن يجذب ملحداً إلى المسيح ... فتركه الملحد غاضباً لحماقته هذا الذى لا يملك فى جعبته سوى جملة واحدة ... من لم يؤمن يدن ! .

ركع المؤمن وبكى بين يدى حبيبه وطلب منه أن ينير عقله كما أنار قلبه فيستطيع أن يجادل من يحب أن يدعوهم ليعاينوا مجد الرب ...

بكى لمن يستطيع أن يستخدم لثغة لسان من يتحـــدبهم استخداماً أفضل من فصاحة من يعتمدون على مواهبهم فقط .

ومضى الملحد إلى حيث يستلقى بجسده على فراشه الوثير ولـكن روحه لم تهدأ بل ظل على أحر من الجمر .

هرب النوم بعيداً عن جفنيه وتسلل الإضطراب إلى أعماق قلبه ... عادت الذكريات وهاجت المشاعر وتألبت عليه الأفكار من كل جانب ...

ركع وبكى !

« أيها الإله الذى لا أعرفك هل لك أن تـكشف عن عينى فأراك . وتعلن لى ذاتك فأؤمن بك..!» هكذا هتف ذلك الحائر.

على أنه لم يطل الانتظار بل سمع صوتا واضحاً يدوى فى أذنيه . . « أتؤمن بابن الله ؟ » وهنا تذكر شخصا فى القديم كان أعمي وسمع هذا النداء بعد أن رأت عيناه النور فآمن ... وهنا أيضا عاد إلى ذاكرته ذلك الصوت القريب الذي سمعه منذ ساعات « من لم يؤمن يدن ! »

تنهد الملحد أخيراً وقال فى زفرة أفرغ فيها كل همومه « أعن يارب ضعف إيماني . »

لقد وجد هذا الانسان طريقه إلى الايمان على يد أحد الذين قال عنهم الرب يسوع « إن ثبتم فىَّ وثبت كلامى فيكم تطلبون ماتريدون فيكون لكم . »

† † †

دعا يسوع المسيح نفراً من الصيادين ليتبعوه حتى يهبهم من لدنه معرفة الله الآب فى شخص ابنه . وكلما إزدادت تلك المعرفة زادت معها فاعليتها في الاقتراب من هذا الابن . بدأوا يعاشرونه فى حياة ملؤها الصداقة فدعاهم تلاميذه بل أحباءه ، ولكن حبه لم يقف عند هذا الحد ، بل تعداه إلى شركة لا ينفصم عراها فيها يحمل أحمالهم ويعطيهم من نعمه ثم زاد إلى اتحاد وثبوت متبادل كل من يود أن يقبل عطية البنوة لله . إنه اتحاد فى الفكر واتحاد في القول واتحاد فى العمل .

فكر نيِّر وذهن متجدد لبصيرة تختبر ماهى ارادة الله الصالحة المرضية الكاملة . فلا نعود نهتم لشيء بل في كل حين نرفع أفكارنا الى الله بالشكر والصلاة . ولا نعود نفكر فى شيء الا بمقياس الأفكار التى أعلنت لنا عن الله المحب وفكر المحب يسمو على الحسد والتفاخر والانتفاخ والاعداد بالنفس وظن

السوء والتشاؤم لأن المحبـــة لاتحسد ولا تتفاخر ولا تنتفخ ولا تقبح ولا تطلب ما لنفسها ولا تحتد ولا تفرح بالاثم بل تفرح بالحق .. تحتمل كل شيء وتصدق كل شيء وترجو كل شيء وتصبر على كل شيء .. إنه فـكر محفوظ فى المسيح يسوع لذلك يدعونا الرسول بأن نفتكر في كل ماهو حق وكل ماهو جليل وكل ماهو عادل وكل ما هو طاهر وكل ما هو مسر وكل ما صيته حسن .

إنه فـكر من توافقت إرادته مع إرادة من أحبـه واتحد به فلا يمل من عشرته ولا يكف عقله عن الافتـكار فيه . ولئن شُغل العقل لحظة فالفـكر فى القلب يستمر والصلة السرية لن تنقطع بل تسارع إلى الظهور فى الوعى كلما دعت إليها مناسبة من المناسبات ...

إنه فـكر مرهف حساس وتزداد حساسيته بازدياد طاعته للروح القدس الذى يهب ارشادا والهاما فى كل ظروف الحياة .

واتحاد فى القول فلاتنطق الشفاه إلا بما يمجد الله ولا يتدنس اللسان بما يهين حب الله . والينبوع الصالح لا يخرج المـــاء العذب والملح معا . والانسان الصالح من كنز قلبه الصالح يخرج الصلاح .

أيها الحبيب ـ أنظر إلى ما يتطلبه منه الاتحاد بالمسيح نظرة الراجي أن يحيا حياة ثابتة فى الكرمة الحقيقية وأطلب ممن ينقي أغصانها أن ينقى لسانك ويمس شفتيك بجمرة من نيران حبه فتتطهر وتبرأ لتخبركم صنع بك الرب وتعض فى هذا السبيل فتعترف به قدام الناس حتى يعترف بك الابن قدام ملائكة أبيه . لا تخف من نتيجة كلامك ولا تهيب أن تخبر بحقه علانية لأنه معك ، بل متحد فيك . سل نعمتك لتقويك واقبل فى رجاء وعده الأمين « افغر فاك وأنا أملاه » ثم احسبه كل فرح إذا تهيأت أمامك الفرصة الذهبية لأن يجعل الله لسانك آلته المادية وسط هذا العالم المادي حتى يُستعلن ملكوته الأبدى .

ثم إتحاد فى العمل فيه نثمر ثمراً يتوافق مع محبته . انه ثمر روحه القدوس الساكن فينا فانخضع لارشاده فنحيا بالمحبة والفرح والسلام متممين إرادته فى طول اناة ولطف وصلاح منتظرين إعلان مجده فى إيمان ووداعة وتعفف والكتاب يعلن لنا أن هذه الحياة ثمرة الروح فلنحرص لئلا نفقد جانباً من مزاياها . عالمين أن « ضد أمثال هذه ليس ناموس . »

+ + +

من هو هذا المتحد بنا الباذل ذاته لأجلنا ؟ . . أهو النجار

الجليلى ! أهو ابن الانسان وابن الله ! إنه الاله الحق من الإله الحق ، الذى أعلن لنا مجد أبيه وأخبرنا بكل مايهمنا معرفته عن الله « عظيم هو سر التقوى الله ظهر فى الجسد . . . »

لكن . . . ذلك الذى اتحد بنا يدعونا لنحيا حياة كما عاش هو . فمنا من يتألم لمجد اسمه ومنا من يضطهد ومنا من يستشهد ومنا من لا يعرفه العالم . . . ومع ذلك فلا سبيل لانفصام عرى هذا الإتحاد لأنه اتحاد بالاله .

والآن لندخل مخادعنا ونغلق أبوابنا . . فلن نجد أنفسنا منفردين ! ولنتأمل مع من أحبنا في حالة الملايين ممن يعيشون منفردين فلا يستطيعون أن يحتملوا الحياة وأعباءها ... إن لكل منهم احتياجاته الخاصة ولكل منهم تفكيره الذاتي ، لكن منهم من لايعرف للحياة غاية يسعي إليها ومثل هؤلاء يشقون ويسعدون لكن سعادتهم لاتدوم . انهم يتعبون محاولين بناء العالم ولكنهم يهدمون بيد ما يبنوه بالأخري ، وكلما تقدمت بهم الحياة زاد خوفهم منها ولو حوّلوا أبصارهم إلى الخالق لما عرفوه لأنهم يعيشون فى جو من الخوف فيفقدون الإيمان بكل شيء ... إلا أنهم يحنون إشتياقا ليعرفوا كنه الإله .

إن مخادعنا الآن تضاء بنور وجوده معنا حتى وإن أظلمتها

تأملاتنا السابقة عن عالم مظلم . بل شكراً لله الذى أعطانا فى شدة اليأس عوناً وفي ظلام الليـل نوراً وحمداً لاسمه لأنه عند اشتداد الظلام حولنا يظهر بمجـده محدثاً إيانا « ثقوا أنا هو لا تخافوا » .

ننظر إليـه فنمتلىء إيماناً وحباً ونتطلع إلى بهائه فنرى أن ملـكوته لابد يأتى « كما فى السماء كذلك على الأرض . » وعمله العظيم لابد أن يتم فى هذه البشرية التى أحبها . وإن أبطأ لابد يكمل فى ثقة ويقين ... ليأت ملـكوته بواسطة خدامه بل ليأت ملـكوته حتى بواسطة أعدائه . لأن المحبة تغلب الـكراهيـة وتسببها ، والباطل يفني كالرماد بينما يبقى الحق مشتعلا إلى الأبد .

إن حاجتنا العظمى الآن هى أن نتطلع إلى الصليب ونترجى مجيء الملـكوت ونلمس بأى ثمن قد إشترينا فلم نصبح بعد لأنفسنا .

إن ملـكوته داخلنا ويتوقف مجيئـه للاخرين على فاعليته فينا . والرب يسوع المسيح ليس معنا الآن بالجسد لـكنه يعمل بأجسادنا . وليس له الآن يد تمتد إلا أيدينا وليس له أرجل تسعى لترتاد الوهاد إلا أرجلنا . وليس له فم يبشر إلا أفواهنا .

فلنتأمل فى قيمة ملـكوته ولنعمل لمجيئه مهما صغر نصيبنا

فى العمل أو كبر حينئذ ندرك حالا أن نوره يزداد يوما فيوما وشمس بره تشرق على عالمنا المظلم وها هى ذى أشعتها ترنو من فوق الجبال لتضىء لنا الوادى وهاهي قلوبنا تهتف فى رجاء حى « عملك يارب فى وسط السنون أحيه . »

فهرست الكتاب